obeikandl.com

مُجتمَع المتوحِّدين السِّرِّيّ

شركة الدلتا اليوم للصحافة والنشر والتوزيع والدعاية
دار دلتا للنشر

رئيس مجلس الإدارة

المحاسب

أحمد التلاوى

الناشر

سليمان القلشى

مستشار النشر

أحمدسويلم

الطبعة الأول
الكتاب: مُجتمَع المتوحِّدين السِّرِّيّ
المؤلف: مصطفى العدوي
تصنيف الكتاب: مجموعة قصصية
تصميم الغلاف: إسلام الشماع
تنفيذ داخلى: محمود رمضان
وقم الإيداع: ٢٠١٧/٩٩٥٠
الترقيم الدولى: ٥-١٤-٦٦٠٥-٩٧٧-٩٧٨

العنوان : ١شارع ابن مروان - أمام مجلس الدولة الدقى
التليفون : 02/37483557
email : delta.books@gmail.com

obeikandl.com

مصطفى العدوي

مجموعة قصصية

احتمالات حكاية قصة

مُجتمَع المتوحِّدين السِّرِّيّ

دلتا للنشر والتوزيع

obeikandl.com

obeikandl.com

تصدير

«الحق أقول لكم يا سادتي، لقد كانت دومًا قصة واحدة وطرائق قِدَدًا».

obeikandl.com

obeikandl.com

البيت القديم

ستكون كل زيارة فكرة لنص جديد،فقد محاه البناؤون الجدد منذ أكثر من عشرة أعوام، وبقي الحلم.

obeikandl.com

obeikandl.com

ثمرة جوافة فى طبق خزف عند رأس السرير

يفترض أن يبدأ هذا النَّصّ بذِكْر شخص ما أثَّر في حياتي، وبينما أقلِّب كل واحد عرفته في هذه الحياة تستعدّ شمس اليوم للغروب، مما يحفزك بعدد لا نهائي من الرغبات في جعل العالَم صموتًا كي يتمكَّن الذهن من التمتع بالحياة بشكل لائق بعيدًا عن الوطن المكفَّن بالعشوائية والمعطَّر بالدم،مثلًا: لنكتب عن الكاتب العلماني اللا ديني الذي اعتاد أن يخوض الحياة منكسرًا وأن يكتب عن كل فكرة سنحت له لتصبح جملة رواية في مفكرته، أو عن زميل الدراسة الإعدادية الذي سيلفت انتباهَه زجاجةُ عصير الجوافة التي تحتفظ بها في حقيبة تصلح لمعسكرات الجيش.

رائحة ثمر الجوافة المترامية في السوق،كبرد الشتاء: حميمية ورخيصة ومتناثرة ويملكها كل الفقراء،أكافح الآن لأكتب نصًّا مفهومًا متماسكًا ذا زمان متوحِّد،عبثية الكتابة ينبئ بها أن لم يكُن للجوافة رائحة واحدة ثابتة وتستحضر ذكرى محدَّدة في كل مرة: رغبة حينما تعلم أن امرأة محرَّمة عليك تستحمّ في الجوار. خوف لحظة قفزك من فوق السور إلى العالَم السرمدي. ألم البروستاتا في ليلة أنت فيها نصف حي. ظلام سرمدي في لعبة «أتارى» بنكهة الموسيقى الإلكترونية تشبه اللا نهاية،لعبة ستساوم أباك على ثمن خمسة أدوار منها، وخشية المرض ستتمنى أن تتعلق بأستار الكعبة لتعلن لإلهك أنك ضائع تمامًا من مشاهدة مريلة المرضى التي تُظهِر مؤخراتهم، وأشكال الترولي الصدئ والدولاب الزجاجي الأبيض الذي يحوي أنبولات، وباب العنبر ذي

الدائرتين في كل ناحية. دهشة الانتقال بين الأبيض والأسود على أصابع بيانو. وحدة كضائع تمامًا مثل ذلك التشويش في الثواني الثلاث الأخيرة، قبل انطلاق صوت المنبه الذي اشتراه الحاجّ من الحجاز مرعبًا ويؤذِّن بصوت لا تعرف من أي العوالم يأتي،وحدة أبدية لا تشبه الشوشرة الإذاعية من الترانزستور محفوفًا بجملة «ولا حدّ عدَّى ولا مرة هدّى وشاف عينيها إلا ومال». الشوشرة التليفزيونية لأشعة ألفا وبيتا وجاما مع صورة تليفزيون المستقبل التي تنقل الأوليمبياد قبل موعد إذاعتها بساعتين. الاستيقاظ المريع مع بعض الحماسة والألم الذي تجلبه أهداف يورجن كلينسمان على ألحان ريميكس،عاريًا تستلهم دفء أنثى في الفراش،كتحية من العالَم البعيد في سبتمبر أو عرقه، وحماسة كتابة عن ثمرة جوافة في طبق خزف عند رأس السرير.

obeikandl.com

هندسة وَصفِيَّة...

يُفترض أن تدور أحداث هذا النَّصّ بين المنصورة والإسكندرية - لدَيَّ حيرة في وصف الأماكن- لكن لنقُل إنه يومًا ما كان شابٌّ يسمع الموسيقى في الإسكندرية حيث توفّرها إذاعة البرنامج الموسيقى على موجة إف إم بينما دراسته في جامعة مدينة المنصورة، وإن دراسته بدأت لاحقًا للمشهد الموسيقي بنحو أسبوعين إذ لم يدرِ شيئًا بعد عن موادِّه التي سيدرسها لاحقًا. في هذا الوقت المبكِّر من اليوم تبدأ شمس خريفية في البزوغ،تلملم أوراق الصيف وذكرياته النارية لتستعدّ للاختفاء خلف طلائع السحب المبشِّرة بالشتاء،لا يقدمون أعمالًا شهيرة،وفي لحظة استرخاء بين النوم واليقظة أمام شباك مُطِلٍّ على الأفدنة المزروعة بالنخيل مكملًا تفاصيل لوحته بالنور والظلّ،قدموا «شتراوس» بمقطوعة مجهولة تبدأ بسبع طَرَقَات على الطبول سميتها «صَلْب المسيح»،هذه الملاحظة دوَّنتها توًّا على كشكولي المربعات نصف السنتيمتر الذي سأشتريه بعد أسبوعين للهندسة الوصفية بقلم أصفر صُنع في كوريا الجنوبية نصف مِلِّي...

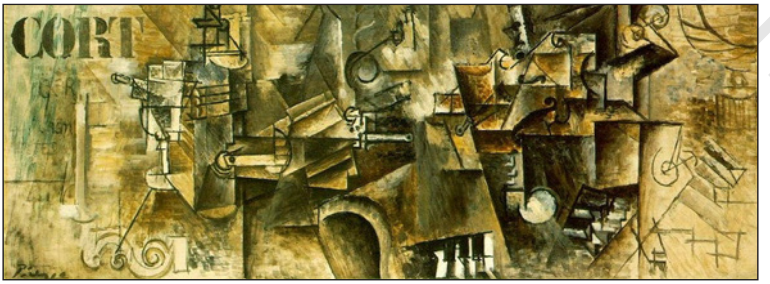

سيتحتم علينا أن نودِّع نجوم الصيف القريبة كالأصدقاء، لنعيش في العزلة الكونية تحت طبقات الأرض، ويزحف الشتاء فيلبس أبي روبه البني المخطوط بأشكال لانهائية لشبه المنحرف باللون الأسود، ويسود الطرقاتِ الصمتُ بعد أن يختفي بائع غزل البنات ببوقه الحميمي وصياح الأولاد في أثناء لعب الكرة، والبنات اللاتي يتدثرن تحت ملابسهن الصوفية هربًا من برد الليل الطويل، وإذ يقدم الشتاء يكون لزامًا علي بأوامر أبي أن ألتزم مكتبي المعدني ماركة «إيديال» صناعة مصرية الذي درس عليه كل إخوتي ولا يكفّ عن حكي كل ذكرياته في الليالي الشتوية الطويلة عن مذكرات أخي ومشروع تخرُّجه والهندسة النسائية لأخواتي البنات، إنه يشي لي بمذكراتي السرية وأسماء البنات اللاتي أحببتهن، ومن مظاهر الدراسة أني سأستخدم نفس قاموس المصطلحات الهندسية الذي كان يستخدمه أخي، وسأستخدم قمصانه التي تنبئ بمستقبل الحوْسبة مستخدمًا مربعات متقاطعة في تماثُل باللون الأخضر الفسفوري المدهش فوق الخلفيات البيضاء الناصعة كمعمل لـIBM.

أتوضأ بالماء البارد لأصلي الفجر، وأفتح كشكول محاضراتي المجمعة الذي يحتلّ مقدمتَه القانون الرياضي لمبدأ عدم التأكد لهايزنبرج تقديرًا للرجل المؤسس لعلم ميكانيكا الكَمّ،بعدها ستختلط الذكريات بمحاضرات التفاضل والتكامل وبرامج موسيقية تصلح نصوصًا قصصية بمحاضرات الكيمياء الهندسية وهذيان عاشق في موسم طحن الأدمغة بمبادئ الرسم الهندسي.

كانت موسيقى شتراوس ممتعة فغفوت،رغم أن الأجواء أوحت إلَي بنَصّ استخدمت فيه موسيقى باخ كمرشد موسيقيّ حتى إني اقتبست نفس الاسم (توكاتا وفيوج) فبدا كأني لم أُعْطِ شتراوس احترامًا كافيًا،مسلِّمًا نفسي لحركات البيانو الذي يصنع الحياة والموت في سلاسة الانتقال بين الأبيض والأسود،الحقّ أقول لكم كان اشتياقي وقتها طاغيًا إلى صوت الأرغن المتصوف،مطر، وحيث

لم يرجموك فقد رجمك كل حجر وطئَتْه قدماك الحافيتان، نزفت،لكن البرد واللهفة أنْسَيَاك كل ألم،كل لذة،خطاك السرمدية صنعت إيقاعاتها أجراس الكنائس وأصوات الأذان وتراتيل المعابد...أعاني مشقَّة الصعود عاريًا.

في أثناء الليل وحيث أختلي بكشكول محاضراتي المجمعة الرمادي،الذي يحتلّ ركنَه السفليَّ الأيسرَ ختم ذهبيّ للمؤسسة الصناعية التي طبعته ليكون دعاية لمنتجها، وأنقل موادِّي مرتَّبة في كشكول كل مادة على حِدَة مستخدمًا أسلوبًا مرتَّبًا وعمليًّا،أسمع دقات منتظمة تخترق صمت الليل الكئيب. من وحي هلاوس سمعية ستكون فكرتي عن بندول ضخم بحجم بيت،ليس لدَيَّ قناعة عن سبب طرق كهذا في شارعنا العجوز الذي يحمل اسم خواجة كانت أرض بيتنا جزءًا من ضيعته، وحيث تعاني أسرتنا الوحدة،رغم أني اشتريت مقطوعة جديدة من أعمال تشايكوفسكي لتبدد الرهبة واستكمالًا لنقل دروسي فلابد أن تحالف الطرق مع الموسيقى يوفِّر وسيلة تعذيب مناسبة ويعزف مارشًا جنائزيًّا بغرابة.

التوأمان مي ومحمد يتمشيان معًا في طرقات الكلية، ولما شاهدتهما أسرعت متفاديًا أكبر قدر من الطلاب وحائزًا قدرًا أعلى من لعنات الطالبات بسبب تخبُّطي العفوي بهن.لماذا يمشيان سريعًا هكذا؟!أتخطى تعويق الجميع سعيًا نحو الهدف، ولما وصلت إلى الردهة لم يكُن ثمة مخلوق،يقولون إن يوم الحساب قد يكون في ساحة كهذه، ولابد أنّ أتباع يسوع كانوا في غاية الفرحة بقيامته لأنها أعطتهم الأمل في فرصة جديدة،وفي الفواصل بين المحاضرات أتكلم كثيرًا أو لا أتكلم أبدًا، وأستخدم قلم رصاص بنيًّا صنع اليابان وأرتدي قميصًا مكونًا من أربعة مربعات رمادية وبيضاء بالتبادل في تماثلية حول نقطة الصفر، وسيخبرنا أستاذ الرياضيات أنْ هكذا تكون الدالَّة الفردية، وسأتعرف إلى شابّ من أسرة «شباب ألفين»(شباب الإخوان المسلمين)، وسأسترجع في ذهني لحن أمس الممزوج بطرقات البندول بينما يحدِّثنا الفتى عن ضرورة التظاهر ضدّ أمن

الجامعة الذي رفع أسماء طلاب الأسرة من قوائم انتخابات اتحاد الطلبة لصالح الأسرة الشبابية التي تنتمي إلى الحزب الحاكم،سيعرِّفني نفسَه -يرتدى جاكتًا يحمل مثلثات بنية متداخلة فوق خلفية مزيج من الأخضر والأصفر-وسأرد التحية وأعرفه نفسي:

- أنا اسمي...

- أهلا يا باشمهندس...

ثم إنه سيبدأ بسرد القضية التي هي عادلة بنسبة محدَّدة،فشباب الإخوان لا يحصلون على فرصة أبدًا لخوض الانتخابات بسبب استبعادهم لأسباب أمنية.

- صدقنى أنا مقتنع بوجهة نظرك،لكن تبقى مشكلة أنك تستخدمني من أجل قضيتك العادلة.

«وضفر العسكر إكليلًا من شوك ووضعوه على رأسه وألبسوه ثوبًا من أرجوان...».

- هناك فصيلان متنافسان،أنا لا أعرفكم ولا أعرفهم،فلماذا أدافع عن قضيتكم؟!

«وخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذي يقال له (جلجثة) وكتب (بيلاطس) عنوانًا ووضعه على الصليب (يسوع الناصرى ملك اليهود)...».

ابتسم الشاب ابتسامة خجولًا ثم انسحب،كان يكبرني بأعوام ويستعدّ للحصول على درجة البكالريوس،لكنه لاحقًا سيدعونا للاعتكاف في مسجد الكلية في فواصل المحاضرات.

أنا لا أعرف متى سمِّيت بطلي المكافئ لي في مذكراتي «مختار غازي»،لكن مع ازدياد ملامح الحياة الليلية التي تظهر في البيت المهجور بالطابق السفلي في الساعات الثلاث قبل صلاة الفجر حيث تلتزم أي أسطورة بأن يختفي كل شبح في الفجر،تزيد فترات مصاحبتك لمذكراتك لتهوِّن عليك رعب الساعات الكئيبة، ولمرات فكرت أن أنام بهذا الوقت هروبًا،فلم أجد إلا مَيّ بفستانها المثير تطاردني في أحلامي بهروبها منِّي فوق دراجة بائع العيش والضحكات الساخرة للساحرة الشريرة التي تسكن أعلى منارة محطة الكهرباء.

بدأ الأمر لما دفعك الفضول لتبحث عن سر الطَّرْق المستمر الذي يأتي من بندول بحجم البيت ويعزف لحنًا جنائزيًّا توافُقيًّا،فاكتشفت أن هذا لم يكُن الاستثناء الوحيد،فبعد قليل ستنعكس الأنوار من شباك الطابق السفلي المهجور فوق الأسلفت لتصنع شاشة سينمائية تتحرك عليها أشباح بشرية،جدة التوأمين ستنادي «محمد» بلكنتها الريفية معنِّفة بسبب عدم ملء زجاجات المياه، والأم ستسعل،ثم سمر الأب والعَمّ يصل همسه إليك بالأعلى،هل نمت يا الـ«مختار؟!»،لكن مختار أبدًا لا ينام، وهنا تحدثت إليه بكل صوت سمعته وبكل حركة شاهدتها، وهو صدق، فلم أكذب عليه أبدًا.

تحدث أستاذ الهندسة الوصفية عن فكرة أن المربَّع في الهندسة لا يظهر مربَّعًا إلا في المسقط الرأسي، بينما يظهر في مستويات الإسناد الجانبية والأفقية كخط مستقيم، وأن النملة لا ترى إلا بعدين فقط في الحياة...

– سأبدو للنملة مثل إله.

يلتفت إلى أحد الطلبة بدهشة وبنظرة غضب.

وبعد المحاضرة أتمشَّى مستكشفًا واجهات المحلات المنيرة في الظلام خلال العودة إلى البيت،في طريق الصعود إلى الرب،كيف كان شاقًّا؟! تمددت في واجهة النافذة، لا أين ولا متى، وتمددت رُوحي بأشكال من جسدي تطير،فلم يُعرَف لي حيزٌ ولا مدًى،وانتقلت من كل شبر معروف في هذه الأرض إلى درب الصعود،الطريق إلى بيت الرَّبّ لحظة حييت لحظة عدت،عيش الحقيقة، والمدى كان شلالًا من نور أزلي،هناك كما فوق كما تحت،منزَّهٌ عن الأبعاد، نور دموعك، وضحكك نور، عرقك نور، عطرك نور، ونور هي الفكرة، «ربنا أتمِمْ لنا نورنا».
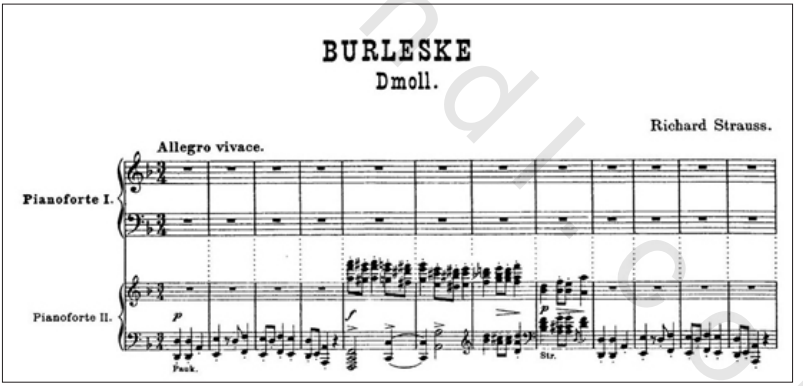
كتبت كل شيء في مذكراتي لمختار غازي،عن الضوء الأحمر الذي يتسرَّب من شُرَّاعة الباب، وعن الطرقات التي طرقتها في منتصف الليل مثل أول مرة قبل عشر سنوات لما فتحت لي الجدة وسألتها بوجل: «ممكن ألعب مع أولادكم؟»، وعن أثاث البيت الذي جمعه العمّ بعد أن اختفت الأسرة فلم يعرف أين ذهبوا،

وعن صياح مي ومحمد كما كنت أسمعه قديمًا، وصوت الأم تنهرهما، وأحاديث المساء بين العم والأب.لكن أحدًا لم يفتح لي،كانت بئر السلم مظلمة ومُغلَقة بالسلاسل والأقفال كما اعتاد أبي أن يفعل منذ أن هجر البيت،سمعت كل صوت ومع ذلك لم يفتح لي.

كان النهار رماديًّا بامتياز دون مطر، وكنت متأكدًا أن مي زميلتي في الكلية وأنها استجابت لدعوة «أسرة شباب ألفين» للاعتكاف في الفواصل بين المحاضرات.عدت إلى البيت حزينًا لأنني لم أرَها،الشارع الصامت بأثر من الغيوم والبرودة والهجر،حيث عين الله في السماء أبدًا لم تغب، «الله أتى في ظُلَل من الغمام والملائكة»،في سكة الصعود،مشهد من واجهة المنزل، شرفة البيت المهجورة تصنع سياجا من متوازي مستطيلات خشبية خضراء قديمة أبلاها التراب والمطر،الشبابيك المغلقة المحملة بأمتعة من التراب والذكريات والحزن على ساكنيها الذين رحلوا،مي اكتشفت شباكًا يُطِلّ على المَنْوَر فنادت محمد، وتضاحكا لما فاجآنيي بـ«بِخّ»،الله! كم هو حي هذا الكون،الشبابيك كلها مُوصَدة لكن الضحكات مازالت تُسمَع،ثم أزيز البرق المتبوع بهزيم الرعد،مطر هو الصعود إلى الله.. «ربنا أتمم لنا نورنا».

المقطع الأخير يكتبه مختار غازي:

قد لا يكون لدينا القدرة دومًا على الاختيار، فـقد اختارني لأمثله في مذكراته، وسيكون لِزامًا عليّ أن أمثله في نَصّ «حفر الباطن»، وها أنا ذا أكتب نهايته التي لم يتمكن من كتابتها،لعله اختار اسمي بناءً على ترجمة أمينة لمرادفات اسمه أو ربما هو استوحى اسم جريدة أسبوعية ثقافية تحمل اسمي،أو لإعجابه بصديق طفولته ابن الطبيب الشهير الذي كان يحمل اسم مختار.

وإذ حمله الاشتياق إلى الرَّبّ أو إلى أصدقائه في الأسرة التي اختفت فجأة فقد اختار سبيله إلى الله، وحيث دخل الأب فوجده قد ترك رسالته «اعذرني يا أبي

فلم يعد بوسعي أن أتأخر»،لم يشعر الأب بالصدمة كثيرًا لسلوك الابن،فقد كان يعلم جيدًا مدى شذوذه وجنوحه،لذا كلفني وربما بإيعاز من الكاتب بتسطير مشهد النهاية.

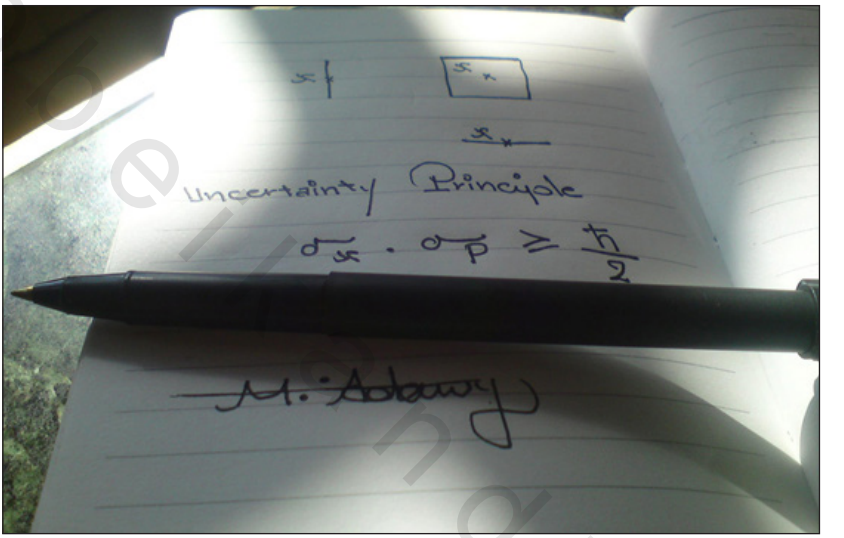

obeikandl.com

مشهد من وطن لم يكتمل

الخريف،رياح شتوية مبكِّرة،الأشجار تتحرك في صخب احتجاجي،الأرض مغطاة بالأوراق الصفراء الذابلة،حمام سباحة خاوٍ من مائه،في الخلفية تختزل الأصوات تاريخًا مضى،أصوات الأطفال يلعبون ويبعثر بعضهم الماء على بعض،صوت صفير المدرب وندائه «هوب»،في الخلفية صوت أم توجِّه ابنها: «البس الشبشب علشان ما تتزحلقش»،صوت ضحكات الأطفال وصياح المدرِّب «صحصح معايا»...جلست هي،سمراء مصرية مكتنزة القوام عسلية العينين دقيقة الأنف محدَّدة الشفتين مقوَّسة الحاجبين في ثقل غير منفِّر، طيبة الرُّوح ناهدة الصدر. وإلى جوارها جلس هو،محدَّد الملامح مثل فرعون منحوت في الصخر أجعد الشعر آدم قمحي،جلسا متجاورَين في قلب حمام السباحة الخاوي مُسنِدَين ظهريهما إلى الجدار الذي كساه القيشاني الأزرق متماثلَين وقد ضمّ كلاهما ركبتيه إلى صدره،قالت «أحبك»،قال «أحبك»،قالت «سأنجب منك مئة ولد وبنت»،قال «سأنجب منك مئة ولد وبنت»،قالت «حضني لك بحجم العالَم»،قال «حضني لك بحجم العالَم»،ثم صمتت فصمت،فاخترق الصمتَ صوتُ الرياح المدوية في الحمام الخاوي الممتزج بحفيف الأشجار،ثم ألقت برأسها على صدره فاحتضنها وبدأ يتحسس شعرها المخملي،قالت «أحبك»،قال «أحبك»،قالت «سأنجب منك.....».

obeikandl.com

اكتئاب: النَّصّ المفقود للأطياف

أقبل الصيف فجأة،أيام قليلة كانت تفصلنا عن عودة ابنة عمي من الخارج. كنا كالشقيقين، ولكن كان بيننا حب كبير كأننا زوجان بالفعل رغم سنّنا الصغيرة، فكل إنسان في أسرتنا كان يعلم أننا متحابَّان وسنتزوج.

كنت قد بدأت أتعافى من آثار الإنفلونزا والاكتئاب، وأقبل الصيف فمحا آثار الصقيع وذوَّب كل أثر لجليد الشتاء في كياني، وضيَّعَت شمسه كل إحساس بالوحدة والضياع.

ككل عام أجمع ما كتبته في شتاء العام الماضي حينما تكون ابنة العم مسافرة إلى البلاد البعيدة حيث يعمل أبوها، وحينما تعود نمشي معًا على أطراف النهر نستمتع بوقت الأصيل ونأكل الذرة المشوية ونقرأ كل شيء كتبتُه، فتضع حبيبتي ملاحظة أو تُبدِي إعجابها ببعض النصوص أو تعاتبني على نصوص لم يكُن أدائي فيها على المستوى المطلوب... وننتهي من تسكعنا لنعود إلى البيت نسمع «موتسارت».تقول لي دائمًا إن «موتسارت» يصلح للصيف،أما هايدن فهو أقرب للشتاء.

كنت قلقًا،اقتربت عودة ابنة العم واستيقظتُ متأخرًا من الاكتئاب، وكنت مهدَّدًا بضياع نَصٍّ مميَّز،ربما ضيعه اكتئابي،لكن القصة من هنا ستبدو مختلفة.

نَصّ طويل استوحيته من تجربتي والموسيقى،بدالي بعد أن أتممته وفي مرحلة القراءة أن هذا النَّصّ ستقترن به كل تجاربي السيئة،هو نفسه سيصبح تجربة للاكتئاب.

في البدء حفظته لدى صديق ليحميه من بطشي،لكنني عدت فاستردته بعد أن قطعت على نفسي ألف عهد بأنني لن أمسَّه، وقد كانت حجتي أني سأرسله إلى جريدة لعلهم ينشرونه،وفي نوبة سوداوية أحرقته، واحتفلت به كرقصة مجوسية،ثم خارت قواي وعاودني نصف أمراض العالَم.

إنه الاكتئاب، وسألت نفسي:أيكون استرداد النَّصّ من الذاكرة أفضل أم إعادة إنتاجه؟الاكتئاب وحده كان كافيًا لأن يُعِيد إليَّ حالتي التي صنعَت النَّصّ، واللعبة الشهيرة تقضي باسترجاع الحالة كفاقد للذاكرة يستعيد حياته الضائعة.

«١»

مفتتح تتدافع فيه الذكريات من عالَم غريب هو مزيج من الطفولة وعالَم ما قبل العالَم،أرض من قديم،يخترقون أرضًا نباتها ذو سيقان طويلة،الأجداد متدثرون بعباءاتهم وملثَّمون كمن يبحث عن قتيل،مصابيحهم الغازية تُصدِر فحيحًا كأفعى.

في العام الماضي وقبل أن ترحل ابنة العَمّ خرجنا جميعا أبناء العائلة في نزهة بين الحقول،كانت نهاية الخريف وبداية الشتاء، وهبط الليل فجأة وكنا على عربة يجرُّها الحمار متلاصقين تمامًا، وأثارت حكايات البنات عن النداهة خيالي،أضواء للقرية البعيدة انعكست فوق العربة فجعلت ظلها بعرض الأفق وكذا ظهرت العجلات التي عرفها الإنسان منذ فجر التاريخ كأيقونة زمنية مميزة للحدث.لعلها ستصبح المرة الأخيرة التي أراها،جميلة كنجمة صيفية وشعرها أسود كسحابة مخملية،ترقرقت عيناها الصافيتان كالقمر بالدموع،مَن منا استحقّ الشفقة في ليلة الوداع الأخيرة؟!

«مجذوب أنا سيدي مثلك تمامًا ومكذوب،الكون ليل سرمدي، والذكريات

أشباحها،أنا في عالَم مُخِيف أيها الصديق،لا تغضب مني عزيزي،أرجوك لا تفعل لأني سخرت منك يومًا».

سافرَتْ وبقيت وحيدًا من جديد،أكتب مذكراتي اليومية كما اتفقنا،أكتب لها عن كل شيء في خيالي وما أشاهده في أحلامي،الدعوة التي تلقيتها من صالون أدبي في مدينة ساحلية ولم أتردد في تلبيتها،هناك تَعرَّفت إلى مجموعة من الكاتبات وأمضينا وقتًا ممتعًا على شاطئ البحر،أكلنا فولًا وفلافل من عربات في الطريق ورقصنا كالسكارى، وضحكنا كالمجانين،لكنني أخطأت لأنني سخرت من ذلك الرجل المجنون الذي كان يبتسم في بلاهة، أشعث الرأس رَثّ الثياب!

«نظرتُ في المرآة،كل شيءفي هذا المكان معكوس،الأيمن هو بالضرورة أيسرك يا هذا الذي هو أنا في مرآتي،زماني صاعد وزمانك هابط، وهذا ما يفسر ابتسامتك الساخرة في وجهي العابس،في المرآة رأيتني،وجهي هو أنت،أشعث ورَثّ الثياب،انطلقت إليك في بيتك -مرآتي- لتصحبني في عالَمك يا هذا الذي هو أنا».

«٢»

أنطلق فورًا إلى عالَم الأنا،في كل اللا وعي الذي حملته معي من طفولتي، أو لعلها عوالم لم أدرك يومًا عن كنهها شيئًا،يا سيدتي أنا أسلم نفسي لعالَم غريب.

عدت من المدينة الساحلية محمَّلًا بمرضي، وما كنت أعرفه عن نفسي وقتها أني لا أرى النور،أقبلَ الشتاءُ بقسوته، وأضاع كل شمس للذكر، وبدوتِ يا حبيبتي وهمًا من أعمار بعيدة،أنا لا أعتبر نسيانك في هذه اللحظة خيانة،فقد سُرقت من ذاتي،كنت شخصًا لم أكُنه يومًا،أنام مع طلوع الشمس وأصحو مع غروبها، وأحيانًا يقتصر وقت يقظتي بين منتصف الليل والشروق،أتسلَّل من البيت لأرافق كلاب الشوراع وأهل الطريق وبرد الشتاء الذي لا يرحم،أتمشَّى

في كل طريق مشيناه معًا مطأطِئَ الرأس كالمسوس،لا ألتفت يمينًا أو يسارًا،فقط أتابع وقع خُطَاي، ويتحرك الأسفلت من تحتي كشريط تسجيلي.

«في مرح شيطاني لففنا العالَمَ مرتين،ثم مرة أخرى، وعرَّفْتِني ألفَ شبيه لي في الكون،وفي أكوانٍ أخرى، وحملتني إلى أرض جدودي وسخرت مني، وأرَيتِني جنازتي وأين سأُدفَن،ثم صعدنا إلى السماء،لنرقص وسط النجوم، ورتلت عليّ أشعارًا مستوحاة من بكائي بينما كنت طفلًا وكلمات قلتها أقلِّد طريقة الأرضيين، وطلبت مني أن أنظر إلى حبيبتي هناك في حياة ماضية في الأرض البعيدة، وتجلت لي بعينيها العسليتين».

لا يا حبيبتي،لم أنسَ يومًا لون عينيك السوداوين وما ينبغي لي،لكنني كنت أنا آخَر غير الذي عرَفتِه.أبي بدوره شكّ في الأمر وعرضني على طبيب أوصى لي بدواء ساءت من بعده حالتي،كانت أمي تستعمل البنزين لتنظف البيت، وأعجبتني رائحته فشربت منه جرعات فغبت عن وعيي، وزارتني الشياطين في أحلامي،كانت شياطين، وأخبرتني أنك لن تكوني قدَري يا حبيبتي،قاتلهم الله!

«أحببتها حتى ظننت أني سأكونها،نسختها الذكورية أنا، وأخرى مؤنَّثة هي أنت، ورقصت معك على كل الألحان الماجنة بسحر الإغواء».

«٣»

ما الذي يجعل كل شيء قابل للثبات في هذا العالَمَ يتحرك؟!البيوتات القديمة،جسدي المقبور،النجوم في السماء،أحتاج إلى الثبات بعض الوقت لأفكر.

عاد إليّ الوعي، ولم تتوقف غزواتي الليلية في وقت البرودة الشديدة،كان النهر يجفّ وتسير فيه سيارات لم تُصنَع قط، وكان رجل الشارع المجذوب الذي

تركته في المدينة الساحلية يتجلى لي في سيري على ضفة النهر يصاحبني فأتمثله،ثم تسخر الفتيات منى كما سخرت منه أول مرة،ثم أسير أنا الذي يصبح هو سيرًا غاضبًا مطأطئ الرأس منحنيًا...ثم ركضت،كنت أهرب من هذه الشياطين المؤنثة،سخريتهم تجرحني كأنما أركض في الطريق بمؤخرة مكشوفة مثلما رأيته أمام الشاطئ أول مرة،ركضت كثيرًا وبعدت حتى وجدت نقطة في فراغ لأهدِّئ روعي.

مضت فترة زمنية طويلة حتى لاحظت أنها تجلس إلى جواري،ملتصقة بي كنبات متسلّق،عسلية العينين مكحّلة جفونها بالموت كمومياء استيقظت للتّوّ،في الحقيقة كانت جذابة جدًّا،بخاصة لشابّ لم يشرب العسل قط.احتضنتني،قبّلَتني،جردتني من ملابسي،وأبْدلَتْني الدفء ببرد الشتاء بدفء جسدها المومياء،باعدَت بين ساقيها وتحسست رايتي،كان التحامنا مؤلمًا كاحتكاك خشبتين،لم أستمر في الدق طويلًا، فكل شيء فيّ كان مُنهَكًا، وكذلك هي،اقتسمنا سيجارتها ونحن ممدَّدان على ظهرينا في جنب الطريق، ناظرا باتجاه الله في السماء، نحن أبناء الرذيلة،قامت كالموتى ترتدي ملابسها،قبل ذلك لم ألحظ أن كل شيء فيها كان ضامرًا،ردفيها،ثدييها،حتى ما بين ساقيها،كان أسوأ أنواع الجحيم أن تقتسم شهوتك مع شبح كهذا.

«وركبناك كطائر أسطوري وقلت احملني إلى أرض الأجداد،فرأيت آبائي الملثمين يحملون مصابيح غازية ينطلقون إلى قلب الحقول في الظلام يبحثون عن ميت،فقلت لهم ها أنا ذا،كنت ملتصقًا بالشبح الأنثوي في ذروة الدق الشهواني، وقال العم المتدين: «عليك اللعنة»، وهوى على جسدينا الخاطئين ضربًا بالسياط، وضحكنا كشياطين من وقع اللذة والألم،قبل أن تحملنا ونذهب ثلاثتنا إلى اللا شيء».

«٤»

التذييل..رقصة تُوحي بالنصر!

فتحت عينَيَّ في غرفة بيضاء كأنها الجنة،كان كل شيء مُعَقَّمًا وتصاعدت الرائحة النفاذة لكيماويات التطهير من أرجاء المكان،رأيت وجوه أمي وأبي وأخي وأنتِ يا حبيبتي،كنت تبتسمين مثل مَلَك رحيم، وضحكت فضحكتم وقال أبي همسًا: «الحمد لله على السلامة»، وبكت أمي مِن بعد الضحك فهدَّأ شقيقي روعها.

«في الطريق الذي تحتلُّه شجرات عظامٌ بطول أربعة أمتار كنا نسير أناوهي،ثم نتبادل الأدوار أنا وأنت يا مرآتي، وكان البخار المتصاعد من الترعة في آخر الليل مثل جنيات يؤدِّين رقصة نصر،كُنَّ يختفين فيظهرن كالشجرات أو يتحولن إلى أُسُود حجرية،أنا وأنت،أنت وهي،ثم أنا وأنت،نلعب لعبة الكراسي الموسيقية،في الواقع كنا كشخص واحد،قلت لي وأنت تتحول إلى هيكل عظميى يحمل فأس الموت: «حان الوقت لتشعر ببعض الراحة»،لكنني كنت صريحًا فقلت لك: «لم يحِن الوقت بعد».

أنهيت كتابة النَّصِّ بخط جميل وعطَّرت أوراقه ووضعتها في غلاف أنيق، وحفظتها في درجي انتظارًا لعودتك السنوية يا حبيبتي.

وفي يوم سألت شقيقي الأكبر عن موعد عودتك فقال لي: «هي لن تعود أبدًا»!

روماتيزم

مرحبًا!

يُرجَى تجنُّب أكل العظام، فقد يكون البشري مُصابًا بالروماتيزم.

obeikandl.com

obeikandl.com

المؤنَّث

طرق الباب كالطفل الذي يطارده وحش،فتحت الباب للفتى المزرى،تصاعدَت حِدَّة التوتُّر الذي يخلِّفه صفير الريح.

هو هنا في حضرتي لأن بوحه عصِيٌّ على دائرته المحيطة،وزنه زائد بعض الشيء وتَخطَّى ما يستوجبه وصف القصير،بيضاوان شفتاه، وكذا هربت حمرة وجنتيه.

- مالي سواك لأخبره!

- البوح لمن لا تعرف يكون أهون!

- كنت الوحيد الذي لم يسقط في دائرة سطوتها، ولعلك تسمعني كمحايد،لكن أقسم لي بأغلى ما تملك إنك لن تخبر أحدًا!

- يتوقف هذا على قدرتي على مساعدتك!

- لا أريد أن يساعدني أحد،فقط أريد البوح!

غرفتي خضراء تتخللها تشكيلات على هيئة أفرع شجر مذهَّبة،الإضاءة خافتة،مكتبي الخشبي فوقه كتاب يحوي لوحات من الرينيسانس، «ليدا والبجعة»،لاحت من الجالس قبالتي نظرة شاردة إلى جسد المرأة العاري كأنها مَلَك الموت،ثم تحدث كالمسحور.

«في ليلة من يناير دخلت فراشي،كانت العاشرة كما كان يحرص أبي دائمًا على ميعاد نومي،أظلمت الدنيا في بيتنا الهادئ ولم أنَم،أبي كان ينفث سيجارة في الشرفة مخلِّفًا ذكرياته وسحابات من التاريخ،تجمعت ذَرَّات الدخان في غرفتي في هيئة طفلة منتقبة،عطرها فوَّاح كحديقة في الربيع،كشفت وجهها ثم تَعَرَّت،بدوت كالممسوس وتجمعت روحي في الحلقوم،تحدثت كموسيقى من الجنة فقالت: «أنا قدرك»،شعرت أن إلهًا يخاطبني،قبَّلَت جبهتي فغفوت،وفي النوم تَمَشَّيْت في كوكب الزهرة وتنفست هواءه المحمَّل بأكاسيد الكربون،بدَت الأرض في الأفق كتفاحة خضراء، وأُوحِي إليَّ أنْ «يومًا ما ستصير مهندسًا معماريًّا، وستُعطِي المثلَّث الأقدس اهتمامًا كافيًا...».

التمعت عيناه وترقرقت عيني من فرط التأثُّر،ثم سألني: «هل كنتَ نبيًّا؟!،لكن الوحي انقطع ثمانية أعوام حتى إن الحياة أنسَتْني القصة برُمَّتها».

استطرد: «في أثناء دراستي الجامعية بدأ حزبنا الشيوعي في استقطاب كوادر شابة،انضممت إلى الحزب وآخرون من فريق المسرح،قدموني لأمين الشباب بالحزب، فكانت هي تترك أثرها الإيجابي في الجميع من أول وهلة،يمكنك أن تصافحها وتتلقَّى ابتسامتها فتبدو مثل شمس يناير تدفئ ولا تحرق،تُشِعّ طمأنينة أينما حلَّت،كانت تستعدّ للحصول على شهادتها في الهندسة المعمارية وينظر إليها قادة الحزب على أنها مستقبل الفكرة الواعد،سمرتها صافية عيناها عسليتان شعرها متمرد ومجعَّد تصفِّفه بحرِّية،كأنها وُلدت مستنسَخة من أيقونات عصر النهضة،تتحدث بكل مزاج فيخرج صوتها بنفس التردُّد دون أن يعلو أو يخفت،تعبّر عن أفكارها بأقل قدر من الكلمات،فَمُها ينبوع تعشق حركته كالظمآن،تتلمَّس كلماتها دومًا صلب الدماغ فتحرِّك كلَّ مَن حولها كالروبوت، ولك منها جائزة الرِّضْوان إن أنت أحسنت صُنْعًا.

تأثيرها كمخلوق من جنس غير البشر،حاوِرْها مرة وستشعر بدموعك الساخنة،الكل تَحدَّث عن هذه الظاهرة من غير تفسير،في كل مرة نتحدث أُهرَع

إلى ركن خاوٍ أضمن أن لا يراني فيه أحد لأبكي بحرية!

قالوا إنها ساحرة، وعلَّلوا بذلك قدرتها على الوصول إلى رئاسة الحزب وحصول تصميماتها على أعلى الدرجات دومًا، وقدرتها على كسب المعارضين والمنافسين، وتواترت الأنباء عن كرامات،فالأبواب تُفتَح تلقائيًّا بمجيئها ويضيء المصباح التالف فوق رأسها وتهدأ حرارة الشمس وتصمت الريح وتستحيل البرودة دفئًا بوجودها،لم يُعرَف أنها غابت يومًا عن يوم دراسي أو اجتماع حزب،لم يُعرَف عنها أنها مرضت أو عرقت أو بردت أو حزنت أو غضبت، وفسَّر البعض ذلك بأنها ربما تمارس طقوسًا رُوحِيَّة سرية.

تقرأ الآخرين ببراعة،لهذا تُعطِي دومًا رأيًا في الأعضاء الجُدُد لا يخطئ أبدًا.

خلال معرفتي بها لم ترتدِي ومًا سوى اللونين الأبيض والسماوي، ومثل التماهي بين السماء والسحاب لم أجرب عليها ضجرًا أو ضيقًا أو رهقًا مهما أثقلتها التكاليف،إنها الكمال متجسدًا، وكانت بالنسبة إليّ ملهمتي ومثلي السماوي،أسألها في كل موقف،فتصبح نصائحها أوامر واجبة التنفيذ.

رآها الكل دومًا كنبيّ،من يستطيع أن يخترق الستر ليصل إلى قُدْس أقداسها؟!لم ولن تكون أبدًا كفتاة تختلس منها حديثًا تافهًا يتحول بمرور الوقت إلى حالة عشق مكرور... ورغم ذلك أحببتها!

مجنون تمامًا لأفعل.أعلنت لها بتصريح مرة وبتلميح مرات، وكتبت لها خطابات لم تقرأها أبدًا، رويتها بدموعي المتبتِّلة العاشقة،فاجأتني يومًا بقبلة فوق جبهتي فانتقلت إلى الجنة في دوامة عطورها الملهمة، ثم قالت لي من بعد القبلة: «أنا وأنت واحد»!بثَّت فيّ بكلماتها نَزْرًا من فلسفتها الرفيعة، وتَعلَّم القلب الاستكانة وتعلمت الرُّوح الصلاة، وبعدها صرت أسعد إنسان في التاريخ!

قاربَت دراستها على الانتهاء،وفي سبيل حصولها على الشهادة العلمية جهَّزْت معها مشروع تخرُّجها، وقضيت معها ساعات كفاحها كأنه الحلم،أُنهِي محاضراتي ولا أفوِّت منها شيئًا التزامًا دقيقا بنصيحتها،ثم أذهب رأسًا إليها لأساعدها في مشروعها، فتعملني كثيرًا من أسرار فلسفتها في التصميم،تحدِّثني كأب وكابن وكزوج وكأخ وكأم وكطبيب، وبعد كل مرة نقاش تتملكني حالة من لذاذة الخشوع ورغبة مدهشة في التأمُّل وتنطلق يميني بالتحليق عاليًا في عوالم غرائبية لم أزُرْها يومًا فأكتب وأرسم وما زال الجسد مني يجتاحه دبيب وتسري فيه قشعريرة مَن صافح ملَكًا يؤدِّي رقصات أسطورية من نور!

اعتدت قبل نومي أن أمنح نفسي عشر دقائق أسترجع بذاكرة منضبطة كلَّ كلماتها وحركاتها وأدوِّنها في مذكراتي،يطل عليّ من بين الأوراق وجهُها المبتسم يشعّ في العالَم نورًا فأهتف بصوت خاشع مرتعش وعينين دامعتين: «السلام عليك يا زهرة من السماء».

وسينتهي العام الدراسي وستنتهي البهجة باختفائها!

قيل إنها هاجرت إلى البلاد الباردة البعيدة، وقيل ماتت، وقالوا رُفِعَت إلى السماء، وقالوا حُبِسَت في الأرض، وأُوحِيَ إليَّ أنْ ربما قُسِّمَت رُوحُها ووُزِّعَت على نساء الأرض، ورأيتها مذنَّبًا في السماء وطائرًا يطير نحو الأفق وفرسًا تركض في البرِّيَّة...ذُهِلْتُ عن العالَم، وصرت أتمثَّلها،أرتدي مثل ملابسها،أقلِّد طريقتها في تصفيف شعرها،أتحدَّث كحديثها،أسير كسيرها،أتحسَّسني قبل نومي فأرى رُوحَها المؤنَّثة تسري فِيَّ. تمنَّيت أن أتحصل على ثوبها فأتشرَّب رائحته،أتذكَّر أني لن أرى قسمات وجهها أو أسمع نبرات صوتها فأبكي طويلًا وأرتِّل: «السلام عليك يا زهرة السماء».

صار الرفاق يحتقرونني ويسخرون مني وينادونني باسمها ويصفونني بالمؤنَّث،هكذا عيَّروا الحبيب بفنائه في محبوبته...»!

كان يبكي لما قال: «أنا لست غاضبًا منها،أنا لست غاضبًا منهم،فكرة أن أصبح هي،الجنة بعينها».

قلت له «تعالَ معي!»،هدأت الريح قليلًا،نزلنا من البيت معًا،هبطنا درجًا حلزونيًّا تحت بيتنا،هبطنا إلى أعماق جديدة من الأرض،سرنا في سرداب،حلّ بنا الظلام كأننا في قبر،في النهاية كانت نقطة من نور،لما وصلنا تَبَيَّنَها هو فكانت كوَّة فيها مشعل إلى جوار باب،قلت له: «اطرق الباب!»،قال لي: «ولم لا تفعل أنت؟!»،قلت «أنا وظيفتي أن أرشدك ووظيفتك أن تطرق فيُفتَح لك!»،ثم إنه طرق ففُتِح له فغَمَرَنا نور ذهبي لم يتبين ما وراءه...لما اعتادت أعيننا النورَ وجدنا رجلًا تجاوز الستِّين في استقبالنا،شديد بياض الوجه يحمل فوق رأسه شعرًا مستعارًا،رحَّب بنا ثم انطلق في أرجاء المكان،قال لي: «هذا التصميم مستوحًى من نسبة المثلث المقدَّس،هكذا علَّمَتني»،فضحك السيد ذو الشعر الأبيض ثم قال: «نستوحى الشيءالذي نقدسه لنعيش فيه».

أصبحنا في مواجهة قدس الأقداس وقد غمره نور أقرب إلى الزُّرْقة واحتلَّت واجهتَه لوحة ضخمة لامرأة شديدة البهاء تشير بإصبعيها السبابة والوسطى. جلس الرجل إلى البيانو وحملت أنا الفيولين ثم جلس الفتى المؤنَّث مذهولًا وقد بدأ يستعيد بهاءه،قال له ذو الشعر المستعار: «أيًّا كانت المرأة التي أحببتها فصلِّ باسمها!». بدأنا العزف،ثم أردف: «نحن دومًا حفظنا سرَّها وقدسناها!».

obeikandl.com

لعبة الملك الأخيرة

احتضنته الملكة في لحظة أفول نجم مملكته،غادره الجميع في بلاطه أو غدر بهم وتُرك وحيدًا ليلاقي مصيره والملكة كملك أعزل بلا أمل.

احتضنته الملكة في سريرهما ينتظران دخول قوات العدوّ في كل لحظة إلى مخدعهما الذي قضى فيه أجمل لحظات الزهو الملكي الذكوري وقتما كانت المملكة التي تحمل رايتها اللون الأسود في كامل قوتها وفي أرض كاملة ببلاط كامل،لعلها كانت لحظات في عمر الإنسانية الطويل والمرهق وكذلك كان كل مجد ملكي في هذا العالَم.

احتضنته الملكة وكانا في كامل أُبَّهتهما الملكية كمحاربين تَحَصَّنا بالحب في معركتهما الأخيرة،إنهم يخوفوننا بالدم وسنخوِّفهم بالحب، وآمنا بلحظاتهما الأخيرة كقدر محتوم وسعيد.

احتنضته الملكة في ظلام يشبه ما ينتظرانه من مصير،كانت تفكر وكان يفكر، وإذ عكست الأنوار من بين فتحات الشرفة الملكية ما يحدث خارجها كنوع إضافي من التعذيب النفسي كانت القطع المتحركةبالخارج تنعكس على وجهيهما تعكس مع نظراتهما حالة الترقُّب والاستسلام،متدثرين كلاهما بالآخَر دفئًا من برد المصير.

احتضنته الملكة، وكان يعلم أنها لم تقصِّر قَطّ في الدفاع عن عرشهما،أخطأت،

ومن الذي لا يخطئ؟لكن كل خطأ له حساباته في مسألة المصير،وهي تورطه الآن فيفَقْد صولجانه الذي قد ينتظر لحظات قدرية أخرى حتى يعود إلى سابق مجده بجيش كامل وأرض كاملة وبلاط كامل ومصير غير منقوص.الحسابات كانت الأصدق دومًا في فهم الحياة.

احتضنته الملكة وكانت تعلم أن حساباتها أخطأت،مَن قاد الأعداء كان الملكة، هي من قامت بكل الغزوات وكبدت جيشنا قطعة تلو قطعة،غامرت بروحها وعانت لحظات عصيبة مرات ومرات،إنها في مواجهة مصير النصر الآن،بينما خُطَّتها كانت مبنية على حماية التخوم والقطع حتى آخر بيدق،كان صراعًا بين جيشين كأنه صراع بين إلهين.

احتضنته الملكة وكانت تعلم أنها تخاذلت،لكنه المصير الذي تواجهه بشرف لتكفِّر عن خطاياها بمواجهة الموت بحضن ودفء وسرير الملك.

احتضنته الملكة لما دخل البيدق والملكة ورئيس ديوان الأعداء إلى غرفة نومهما،شُلَّت حركة ملك المملكة التي تحمل علمًا أسود،قالت ملكة الأعداء: «سلِّم نفسك،كِش». ولم يكُن للملك المغدور سوى أن يستسلم.

حدث الموت المزدوج للأب المنكود

تجاوز الوقت منتصف الليل بنحو ساعتين،استيقظت على صوت الأب الجليل متألِّمًا،ثمة زجاجة جرحت إصبعًا من قدمه،بومة في أرض بعيدة تنعق،العالَم يؤدِّي رقصة «بانتومايم» أخيرة،حتى الشجر من خلف النافذة كان يتحرك في بُعدَين.

في سريري أتابع أشباح الليل قبل ساعتين ونصف من موعد نزولي اليومي إلى العمل، ورغم أن الحادث سبق وفاة أبي بمئة وثمانٍ وستين ساعة فإن ألم أبي لم يكُن مُدرَجًا في قائمة أولوياتي، إذ سيضيع ساعتان ونصف ممَّا تَبقَّى من عمر الأب.

لم أكن أعلم أنه سيموت يقينًا،يقولون إن وجودك إلى جوار رجل ميت يترك أثره الكابي،مجرَّد توقُّع بسبب المرض،وفي عام الحزن ماتت ابنة خالتي،وفي ليلة وفاتها تَكرَّرَت جملة موسيقية ديناميكية لموتسارت في رأسي،شعرت –وكنا في الصيف– أن موجة برد فاجأت العالَم، واحتضنت كلُّ أم –حتى الطير– أبناءها، وأغلق الرجال بيوتهم باكرا، وخلد كل متسكِّع في الطريق إلى النوم بعد العشاء. لم تتكرر الحالة بحذافيرها، لكن كانت تأتيني جملة كهتاف من مكان بعيد كلما نظرت إلى وجه أبي، «إنك تنظر إلى رجل ميت». هكذا كان أبي يسلِّم نفسه لتأمُّل عميق متطهرًا بانتظار الأحداث التي سيخوض غمارها بعد مئة وثمانٍ وستين ساعة من اللحظة الراهنة التي لا يحتلّ أبي فيها أيًّا من أولوياتي التي هي كالتالي: مشاهدة فيلم إباحي على جهاز الكمبيوتر، وهذا قد يتسبب –مع قذفة

طائشة-في الاستحمام قبل الخروج إلى تسع درجات مئوية -بدا مستبعَدًا- أو الاتصال بصديقتي وقضاء الوقت المتبقي في ثرثرة حميمية، وهذا كان مستبعَدًا أيضًا، فالأب المتألم قد يستدعيني للتأنيب بسبب فاتورة الهاتف.

بدأت أفكِّر في النوم مرة أخرى،حيث لا خيارات متاحة مثل قراءة كتاب والاستماع إلى البرنامج الموسيقي،بانتظار لحظة القدر،دقّ القدر بابي هاتفًا باسمي في حذر فلبَّيته بحذر مماثل كأن شيطانًا قد مسَّني في نومي العميق المزعوم.

- نعم!

- قدمي مجروحة!

وكان ردِّي عليه عمليًّا جدًّا.

- هل عرفت أمي؟!

لكنه أجاب كالطفل الذي ضيع كرته فخشي العقاب.

- لا، هي نائمة!

ومحاصَرًا تمامًا لم يكُن لدي بُدّ من فتح الباب،تَجَلَّى الأب أمامي وقد تفجرت الدماء من قدمه، وبيَّن المشهد أنه كان جلدا جدًّا كي يتحمل كل هذا الألم،استند إليّ وحملته إلى الحمام حيث غسلنا الجرح،لكنه لم يستجِب لمحاولة وقف النزيف.

- الوقت ينفد،لابد من إيقاظ أمي واستدعاء طبيب!

وقبيل مئة وستة وستين ساعة من وفاة الأب الأولى استجاب لنصيحتي على مضض وأيقظنا أمي التي لم يكُن لديها مانع في أن تُشعِرَنا بالكارثة التي نحن في

انتظارها وبلعنات الآلهة التي ستتنزل علينا.

ما فهمته لاحقًا أن إصابة أبي بالسكر فاقمت المسألة،كان ينبغي إجراء جراحة بسيطة لاقتلاع الشيءالذي تَسرَّب إلى الجسد فسبَّب الألم والجرح، وتَملَّكَت الأب المسكين فوبيا من الجراحة التي تأجلت لضبط السكري والضغط الدموي.

كان قد تَبَقَّى على وفاته ثمانٍ وخمسون ساعة لما أفاق من المخدر وبدا كأنه وُلد من جديد ويمارس طقسًا جديدًا في الحياة،القلق المستبدّ أجبره على عدة عادات،فتأمُّلاته صارت أكثر طولًا وأعمق،في مقابلها قلَّت أفعاله التي تربطه بالحياة، وعلى هذا استمرّ الهتاف الذي يأتيني من مكان بعيد كلما نظرت إلى وجهه: «إنك تنظر إلى رجل ميت».

تبقى الآن ستّ عشْرة ساعة وثماني دقائق، وكنت أعربد مع الصحاب،سمعنا أغنيات وشربنا كل شيء، ومررنا على القبور وقلت لهم: سنزور المقابر بعد وقت طويل.

قبل الحدث بمئة وثمانٍ وستين ساعة،بينما كان الأب يئنّ من وقع الجرح الذي أصاب قدمه، صحوت من نومي ومازال عالقًا في ذهني حلم الليلة المزعجة،إذ اقتحمت الثيران ملعب كرة قدم، فحوّلَت بقرونها اللاعبين إلى أشلاء.أثر من مشهد الثيران التي تحمل قرونُها أشلاء اللاعبين لايزال ماثلًا في عيني، وكان قد تبقى على وفاة الأب مئة وخمس وستون ساعة والاتصلات بيننا لا تنقطع،يطمئنني هو ثم تتولَّى الأم بعدها مَهمَّة إعلامي بالحقائق الفاجعة، وبدقة لا متناهية.

قُبيل حدث الوفاة الأول بعشر ساعات كانت طقوس استيقاظي ثم الذهاب إلى العمل،تأخرت قليلًا في النوم على غير العادة وتجاوز الوقت الجدول الزمني المسموح به،ثَمَّ حنين إلى الفراش والبيت لكنني أبيت الانتظار لكيلا أُتَّهَم من

قِبَل الأب بالفشل ومن قِبَل الأم بالفشل، كانت ستصبح المرة الأخيرة التي يتهمني فيها الأب بالاستهتار، لكنها ستصبح المرة الأخيرة التي سأسمع فيها صوت أبي مودِّعًا: «مع السلامة يا ابني».

أصبح قرص الشمس دمويًّا ولم يتغير لونها مع اندفاع سُحُب يناير، وقيل إن يوم القيامة سيكون يومًا كهذا، وأبلغوني الخبر، وتركت العمل وهُرعت إلى الأب لأُلقِي عليه نظرة الوداع، وعلى قبره سمعت مناديًا ينادي: «إنكم تنظرون إلى رجل ميت».

مرّ وقت طويل استرجعت فيه كل اللحظات التي مر بها الأب في الساعات المئة والثماني والستين السابقة على الحدث، كانت مشاهد موت أبي وغرفة إنعاشه التيلم أرَها قَطّ تزورني في منامي، وكان واضحًا أن الشمس خلال هذه الفترة كاذبة لا تدفئ ولا تنير أكثر ممَّا يفعل المصباح الكهربي.

كنا قد تَعوَّدنا غيابه حينما عاود الظهور،تبدلت الأرض،لا أدري إن كنت أكبر أم أصغر، ولعلِّي قد تقدمت في العمر، لكن روحي كانت أصغر، وقالت أختي إنها أطعمت أبي بعد نوم الأولاد وإنها اطمأنَّت عليه وأودعته سريرها،وفي الصباح وجدا سريره خاويًا،لكنه عاود الظهور في المساء وأكل من طبق الجبن القريش المخلوط بالمقدونس وشرب كوبًا من الشاي وتحدث عن الأرض وأعطاني النصائح، وكان عليّ أن أبكِّر إلى الأرض ما دام هذا يُرضِي أبي ويُصلِح حال الزرع.

عاود الأب الظهور وعادت السماء إلى الظلمة وطغى القلق على سلوك الأخت خوفًا على الأب،تَحوَّل العالَم إلى كتلة سرمدية سوداء وسُلِّطَت الرياح على الأرض.

البيت القديم الذي غادرناه قبل وفاة الأب الأولى ببضع سنين-والذي سوَّاه

مالكوه بالأرض- عدنا إليه، وانتقل موقعه من وسط المدينة إلى حيّ أنشأه اللاجئون الفقراء الذين هم عائلتنا في أطراف القرية، وتكررت شكوى الأب من زجاج الشباك المكسور الذي يسرِّب الهواء البارد، وعنَّفَتني أختي لأن أمرًا كهذا قد يضرّ صحة الرجل العجوز،قالت: «لا نريد أن نفقده ثانية».

عائدًا من الحقل رأيت أختي تحتضن الأب الذي أحنى وجهه إلى مصطبة البيت المصنوعة من اللبن،كانت تبكي وتنوح: «أبويا مات»،هدّأتُها ونَفْسي: «لعله أُغشِيَ عليه من البرد». كان الظلام قد طوى القرية،استدعينا العمّ الذي استدعى طبيبًا من قرية مجاورة، وهو الذي لم يتردد في إعلامنا بوفاة الأب، وحاولنا جاهدين أن نتحمل مشقَّة فراقه في هذه الأجواء القلقة المظلمة. أثارت الرياح تراب الأرض فأعمتنا، ووضعنا جثمان الرجل في الغرفة ذات الزجاج المكسور، وبدأت طقوس الغُسْل في حضرة الابن والابنة، وطالبتُ العمّ بتكليف النسوة تنظيفَ الطريق إلى الجبَّانة حتى لا تجرح أرجلَنا العاريةَ الحجارةُ المتناثرةُ في هذا الظلام، ولأن آفة عائلتنا الكسل فقد نفد الوقت دون أن تفعل النساء شيئًا، وكذلك كفَّنوه عدا الرأس الذي بقي عاريًا، وقيل إن الكفن لم يكفِ سوى الجسد دون الرأس، وتعالت صرخات النساء والأطفال كمراسم للتشييع.

حملوه، ولما نزلنا إلى الدرب نزفت أرجلنا من فرط قسوته،تمايل النعش حتى كاد يسقط، ورأيت جفن أبي يرتعش ثم بصق على جدار البيت، وكان من تبن القش واللبن، فملأ بصاقه شقًّا بين حجرين، وحاولت إقناع الأخت والعمّ بأن الرجل حيّ،لكنهم أسرعوا إلى الجبَّانة ودفنوه في عجالة على ضوء الشموع، وأكَّدْت لأختي أنهم دفنوه بتأثير الرعب أكثر منهم تصديقًا بوفاته.

قلت لها: «فليتحملوا لعنة إيقاظ الرجل الميت»،ثم رجعنا إلى الدار.

obeikandl.com

مجتمَع المتوحِّدين المحدود السِّرِّيّ

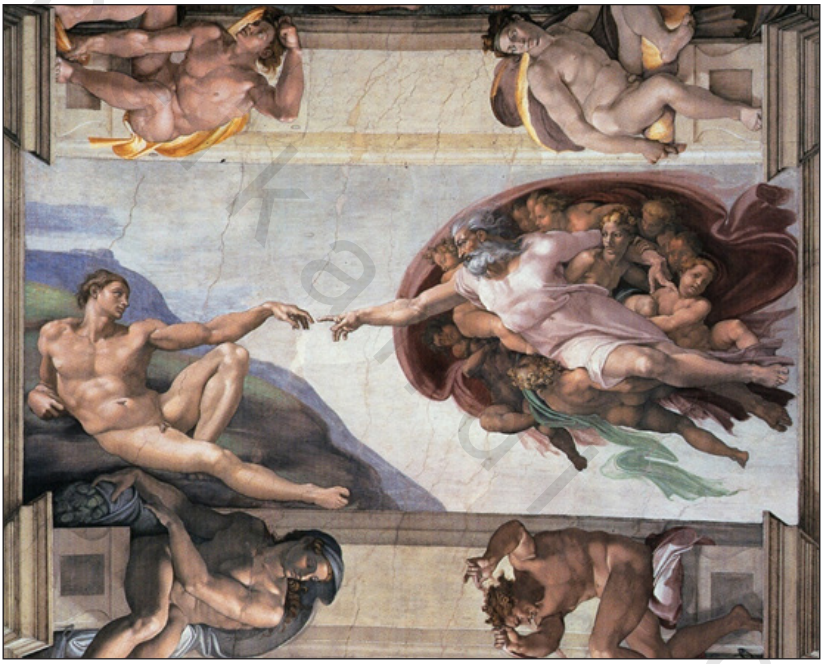

«١»

لا أحد يدرك على وجه الدقة متى أُنشِئَ هذا المجتمع،لكن المؤكَّد أنه منذ بدء الخليقة لم يتبدل أعضاؤه،رقصة للرُّوح بعمر الكون.

«٢»

نشيدنا في وعي العقل الجمعي لهذا المجتمع هو المقطوعة الأولى من أوبرا «كارمينا بورانا».

«٢» مكرَّر–فقرة توضيحية

يعتبر البعض أن الظهور الأول لهذا اللحن كان في بدايات القرن العشرين على يد الموسيقي الألماني كارل أورف، وهذا اعتقاد خطأ تمامًا، لأن الحقيقة أن الرجل أعاد إنتاج اللحن القديم للتعريف بمجتمعنا السري.

«٣»

تعبِّر سيمفونية «نينوى» عن طقس الحزن.

«٣» مكرَّر –فقرة توضيحية

طقس الحزن هو عُرْف متَّبَع في مجتمعنا السري،ينتحب الحزانى على ألحان الموسيقى الحزينة ويعبِّرون عن طقس الخلاص برسم الأشكال الهندسية التي يرونها معبرة عن ذواتهم بسكين على الجسد ولعق الدم المتساقط،يقولون إنه كلما زاد الإحساس بالألم ارتقت درجة المتعذب، وحَسُنَ خلاصه.

«٤»

نحن مجتمع المتوحِّدين المحدود السري لا نهدف إلى حكم العالَم عن طريق السيطرة عليه، ونكاد نكون المجتمع السري الوحيد المتفرد بهذا الأمر،بل نهدف إلى سيطرة العالَم علينا ومن ثَمّ نحقِّق هدف حكم العالَم بالتسلُّل إليه.

«٥»

كل أعضاء مجتمعنا قدماء جدًّا بحكم الحكاية وبحكم التاريخ.

«٦»

لا يشترط في الزعيم أن يكون له سنّ أو جنس محدَّد،- راجع الفقرة السابقة.

«٧»

ينبغي للزعيم أن يكون قادرًا على لعبة التماهي ليصبح إلهًا.

«٨»

لا يستطيع الزعيم أن يصبح إلهًا دون رحم.

«٨»مكرَّر- فقرة توضيحية

من أهمّ تكاليف الزعيم الإله أن يكون قادرًا على التماهي،فهو إمَّا أنثى في ذكر وإمَّا ذكر في أنثى،كما أنه لابد أن يكون على وعي كامل بالمشاعر الاستبطانية لمن يقودهم.

«٩»

لا يضع مجتمعنا الأغَرُّ شروطًا محدَّدة سلفًا لمن يشغل منصب الإله،وسبب ذلك أننا مجتمع غير هادف إلى الربح،هدفه الأعظم هو تحقيق الحد الأقصى من التجريب.

«١٠»

التجريب هو المطلق والنسبي، وهو المثل الأعلى لحياتنا البائسة «حكمة متوحِّد».

«١١»

على كل حسام في السلم وفي الحرب أن يصبح نبيلًا.

«١٢»

شعارنا هو لوحة أحد أهم زعمائنا (مايكل أنجلو) «خلق آدم».

«١٢»مكرَّر- فقرة توضيحية

صنع أنجلو لزيوس(رجل يُسَمَّى مسيحًا يسمُّونه في الأرض أبو البشر) رَجِمًا وحبلًا سُرِّيًّا في اتصال السماء بالأرض،بالنسبة إلى كل متوحِّد لوحة «خلق آدم» مقدَّسة وشعار وعَلَم،ينبغي الدفاع عنه بالموت كما بالحياة.

«١٣»

الحقَّ أقول لكم أني إله ليبرالي جدًّا،فإذا أعرض عنِّي المُعرِضُون،فلا تقتلوهم ولا تعذِّبوهم حتى ينكثوا،بل اتركوهم آمنين فإني أحبهم.

«١٤»

جنتي وَسِعَتهم جميعًا،فيها يتلذذ المتلذذون بعذابي، والعاشقون بعشقي،أنا الذكر وأنا الأنثى،أنا المتماهي.

«١٥»

جحيمي فيها تُنتزع المشاعر ممَّن أنزلت عليهم لعنتي.

«١٦»

تُعَبَّأ المشاعر المنتزَعة من كل أحد ملعون وتُغَلَّف وتُبرشَم بخاتم المتوحِّدين، وتُحفَظ في العالَم الخامس الملكوتي، ويكون من حقِّ الإله وحده التصرُّف في المشاعر بوهبها للفانين في التلذُّذ بالحِسِّ والمتعذبين بالرحمة.

«١٧»

من حَقِّ كل متوحِّد، إذا شعر مللًا من حياة الرغد الأبدية، أن يقدِّم استقالته من مجتمع المتوحِّدين المحدود.

«١٨»

من حَقِّ كل إلهٍ أن يقبل أو أن يرفض الاستقالة، ومن تُرفَض استقالته يُحبَس في العدم.

«١٩»

تمثِّل أيقونة الإله في فقه المتوحِّدين لوحة قديمة استحدثها ليوناردو دافنشي باسم يوحنا المعمدان.

«١٩» مكرَّر – فقرة توضيحية

لوحة منسية لليوناردو دافنشي في مخطوطاته من غير ألوان، لا يعرفها كثيرون، تمثِّل قديسًا بقضيب كامل الانتصاب وثدي أنثى مراهقة.

«٢٠»

على كل إله زعيم أن يكون له القدرة على التحدُّث إلى الموتى.

«٢١»

كل زعيم إله لابد أن تكون له قدرة هائلة على الجَلَد والصبر،يُختبَر بتلقِّ جَلْدة من كل عضو بالمجتمع حتى ينفصل الجلد عن العظم،فإن تحمله رُقِّي العضو وصار مؤهَّلًا لشغل منصبه، على أن يجتاز الاختبارات الأخرى.

«٢٢»

تَزعَّمَنا في كل تاريخ المتوحِّدين سِتٌّ من النساء وسِتَّة من الرجال.

«٢٣»

خَمْس من النساء اللاتي صِرْن زعيماتٍ آلهة وجدنا لهن أرواحًا ذكوريَّة من العالَم الثالث الملكوتي، والسادسة زرعنا لها رحمًا ذكوريَّةً، وثلاثة من الرجال الزعماء الآلهة زرعنا لهم أرحامًا أنثوية، وعاينوا آلام الوضع، وثلاثة وجدنا لهم أرواحًا أنثوية.

«٢٤»

الآلهة الليبرالية ليس لها طقوس تعبُّدية،الطقس الأوحد أن تؤمن أنهم موجودون.

«٢٥»

يرتدي الزعيم الإله سترة سوداء طوال فترة ولايته.

«٢٦»

المتوحِّدون كلهم إخوة،لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات، ويمثل تكامل قواهم إلهًا زعيمًا مكافئًا بحَدِّ ذاته.

«٢٧»

مجتمع المتوحِّدين يقبل سنًّا سالبةً،من أولئك الذين تَبرَّعوا بأعمار لهم لآخَرِين،كما أننا نقبل الصوفيين اللا دينيين.

«٢٨»

طقس محادثة الموتى،أولًا:

يعتلي كلُّ المتوحِّدين الآلهةُ صهوة «طاووس التين الناري الطائر»، وهو بعرض شارع وبطول ستة أمتار،ليسمح بجلوس مُرِيح لكل الآلهة الزعماء،يطير الطاووس إلى أقرب بحر، وتُقام حلقة في منتصفها دائرة نار،يُشوَى الزعيم كشاةٍ ناضجة، وتُختبر رائحة الجسد،فإن كانت طيِّبة فقد تَخَطَّى المرحلة الأولى،أما إن انبعثت منه رائحة كريهة،فيُسجَن في العدم.

«٢٩»

طقس محادثة الموتى،ثانيًا:

يُفَكّ وثاق المرشح لأن يكون إلهًا زعيمًا، ويؤتَى به إلى بئر الموتى،تلك التي عند رأس كل بحر، ويُطلَب منه أن يرقص رقصة الحياة ويغنِّي أغنية الموت عاريًا بجسده المشوي ثلاث مرات.

«٣٠»

طقس محادثة الموتى،ثالثًا:

يكون النجاح النهائي للإله مقرونًا بنجاحه في استحضار أقرب أقربائه إلى الحياة، وعلى كل الزعماء الآلهة أن يتثبَّتوا من نجاح الإحياء.

«٣١»

الأرواح لا تفنى ولا تستحدث من عدم ولكنها تتبدل من صورة إلى أخرى.

«٣٢»

على الإله أن يبحث في التيه عن الرُّوح التي أحياها.

«٣٢»مكرَّر- فقرة توضيحية

قد تعود الرُّوح في غير الشكل الذي ذهبت به،فالبشر قد يعود ملَكًا، والملك قد يعود عامل مراحيض، وقد يتلبَّس الرُّوحَ في الجسد الجميل جسدُ كلبٍ حال العودة.

«٣٣»

يمثل طقس التعرِّي من أجل الكتابة صلاة المجتمع الأبدية، ونحن لا نعرف أول من ابتكره،لكننا مدينون لسلفادور دالي بإعادة إحيائه.

قمر

عزيزي الأعور،يرجى الكشف عن عينك المعطوبة وإلا فسيكون لزامًا علينا أن نفقأ عينك السليمة،القمر.

obeikandl.com

obeikandl.com

ليلة دمويَّة

وقفت في الشرفة أدخِّن سيجارة وأتأمَّل المصنع وأنواره العديدة في المساء، أنصتُّ إلى صوت الآلات القادم من المدى محاولًا تبيُّن الدلالات، القاطعات، مصعد الجير، التُّربينات، الأدخنة الآتية من بعيد مثل موكب سماوي. خيالي كان شرهًا جدًّا ليقُصَّ عليَّ ما يدور هناك، الوردية الليلية، يتقاسم العمال اللقيمات والحكايا وأوقات النوم وتكثر الحكايات والتنذُّر بابتكار كل عامل لمنامته في أثناء الوردية الليلية، وداخل المصنع وفي الساعات الأولى من بعد منتصف الليل حيث يبدو كل إنسان شبحًا مُرعِبًا مهما كان وجوده تلقائيًّا في مكان عمله كأن للمكان رهبة في الليل لا تفارقه، ويقضي عمال الصيانة الذين أنتمي إليهم الوقت في الحديث والنوم والخيالات الجنسية بوحي من ديناميكية الآلات التي يتأولونها جنسيًّا في مرح فاجر، وما دامت لا توجد مشكلات غير مرغوبة فالحياة تبدو رائعة ومملة، الذهاب إلى النوم في الفراش الدافئ مع التفكير في زملاء الوردية الليلية إحساس ساديّ تمامًا.

وصلت السيجارة إلى منتصفها بينما عَمّ نبيل قد لاحظ بخبرة الرجل العجوز أن الليلة قمرية وفيها تكثر حركة سمك القراميط في حوض الماء الذي يأتي بالماء من الترعة المجاورة للمصنع، حيث يمر بمعالجة أولية قبل استخدامه في مراحل التصنيع. كان عمّ نبيل مكلَّفًا بإغلاق وفتح بوابات الماء حسب احتياج المصنع، لذا فقد واتته فكرة شيطانية باصطياد عدد لا بأس به من الأسماك باستخدام جوال بلاستيكي كبير يُستخدم في تعبئة المنتج النهائي للمصنع،

وقد ذهب إلى عنبر التعبئة فاستعار عدة شيكارات وعاد إلى حوض الماء لتنفيذ خطته،في نفس الوقت كان عمّ نبوي يجهِّز منامته في العنبر المهجور الذي يحوي عددًا من اللوحات الكهربائية التي تتحكَّم في دورة كيميائية فضَّل الخواجة أوتو الألماني وَقْفَها لأنها تسبِّب خسارة بسبب سِعْر الموادّ الكيماوية المستخدمة مع عدم ترك أثر ملحوظ في جودة المنتج، لذا فقد عَلَا أسلاكَ التوصيل ومفاتيحَ التحكُّم كلُّ أنواع الأتربة وعدة سلالات من العناكب التي لم تعُد تخشى على بيوتها من الإلكترونيات المعقدة.

***

المصنع في الأصل بُنِيَ ليكون نسخة طبق الأصل من مصنع شبيه موجود في فرنسا، ولم يجد البنَّاؤون الفرنسيون حرجًا في الاستعانة بآلات من الاتحاد السوفييتي وتشيكوسلوفاكيا وألمانيا وإنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية،لكن البصمة الغالبة كانت للفرنسيين حتى على مستوى أسماء الدوائر والآلات والعنابر المدوَّنة على الخرائط الكهربية، وهو ما سخر منه الخواجة أوتو موضِّحًا أن فرنسا لا تصلح إلا لإنتاج الغانيات.

***

دخلت إلى مكتبي في نحو العاشرة صباحًا، وكان هذا الوقت متأخرًا عن موعد أي عمل اشتغلت به.المكان يحوي قدرًا من الرفاهية والفخامة لا يتوافر في أي مكان شاهدَته عيني،فهذه شاشة تليفزيونية بمساحة حائط كامل،وفي غير عملها تتحول إلى لوح زجاجي شفاف يُظهِر في نقاء بالغ حديقة الزهور بكل الألوان التي يتذكرها ذهني الموجودة خارج المكتب، ثم الجدران المغلَّفة بخشب الأرز والمزينة بمصابيح كهربية تُضاء وتُطفأ بالإشارة، ثم الحائط الرابع الزجاجي الذي يكشف العالَم الخارجي المرتبك.

جلستُ على مقعد المدير الوثير الذي يغيِّر من وضعيته أوتوماتيكيًّا كل ثلاثين دقيقة ليسمح براحة أكبر للجسد، وهو من ثَمّ يُسهِم في القدرة على العمل لساعات طويلة، وخلفي كانت السكرتيرة التي احتلَّت جيبتَها السوداء وردة حمراء كبيرة عند ردفها الأيمن،كانت مرحة وتجيد خمس لغات، وشقراء كأنّ جسدها قد دُهِن زُبْدًا وعيونها عسلية، وبدلًا من الفضول الذي دفعني إلى تحسُّس الوردة الحمراء سألتُها عن برنامج اليوم،ذهبَت في سعادة ناحية الشاشة الضخمة بردفين متراقصين لتشغِّل شريط فيديو منقرضًا. أشارت إلى الجدران فأظلم المكتب وأنارت شاشة العرض،ثم عادت إلى جواري لتحتل موقعها المفضل على يساري نصف جالسة فوق المكتب...بدأ العرض.

أوليمبياد عام ألف وتسعمئة وستة وثلاثين التي استضافتها برلين،وقف النازي يحيِّي الحشود في بطولة كانت العظمى في التاريخ،استطاع الجنس الآري أن يحيِّر العالَم بقدراته التنظيمية والبنائية،لاعب رفع أثقال يستعد لرفعة النطر،أبيض وأسود،الحلبة يسودها صمت مهيب ويبدو في اللقطة الغبار المتسلل من فتحات صالة الألعاب الرياضية الشاهقة،النازى يكرِّم اللاعب المصرى خضر التوني أقوى رجل في العالَم، ويسلِّمه ميداليته الذهبية قائلًا: «تَمَنَّيْت أن تكون ألمانيًّا».

بدأت الفتاة التي يحتل جيبتَها السمراءَ وردةٌ حمراءُ فوق ردفها الأيسر بعثرة دخان سيجارتها فشعرت ببعض الإثارة والاحتقان في عيني.

تَبَدَّلَ المشهد فكان رأس وعل قد احتلَّ جانبًا من القاعة الوثيرة فوق مدفأة كلاسيكية، وكنت في قبالتها عجوزًا أقرأ فوق كرسي هزَّاز، وقلت لمساعدتي أن تكفّ عن هذا العبث،وهي بدورها أقنعتني أن هذا جزء من عملها!

هل سمعت صوت الشيطان من قبل؟!لعله كان صوتها أو صوت رأس الوعل الذي كان في مواجهتى متحدثًا عن الوعيد الممكن،تهديد محتمل أو إغواء

لم أعرفه، ولقد اختفت كل معاني الغواية مع رحيل الفتاة التي احتلَّت جيبتها السوداء وردة حمراء فوق الردف الأيمن،إنه صوت ذكوري مخنَّث متقطع مثل آلة روسية يخرج من فكّ يلقم خيارًا سرمديًّا كصوت لعبة أتاري قديمة.

كنت أسمع صوت أنفاسي اللاهثة وصداها في شارع أوربي من مدينة باردة وبعيدة،كانوا التقطوني من أحضان السيدة الأوربية عاريًا، وقُبيل لحظة القذف بقليل حيث كنت أحاول جاهدًا أن أُرضِي طموحي الشبق، فما كان لي من بدٍّ سوى الهرب، وحيث كان يقود خواجة بوجه طولي وعينين زرقاوين باردتين ويرتدي سترة كلاسيكية سوداء وقبعة العمّ سام عربة تجرها الخيول،اسمها سيَّارة الموتى،من بعيد كان يأتيني صوت صياحه وفرقعة سياطه وخيال موكبه على وقع المصابيح الزيتية التي أنارت الطريق،صوت حوافر الخيول فوق البلاطات البازلتية تشي بسكرات موتي،ساقني القدر إلى كنيسة مهجورة واختبأت داخلها أسمع اقتراب موتي،الطريد أنا،سمحت لصدري باستيعاب شهيق طويل ثم أخرجته في زفير متقطع حتى لا أُشعِرهم بوجودي أو يتوقف قلبي المضطرب عن الحركة،إنه يقترب،أبطأ من سرعته،هدأ صوت صياحه واصطكاك حدوات الخيول فوق الأحجار البازلتية،نزل من عربته صائحا ليسمعني صوته: «لقد حانت لحظتك أيها الحيوان الأشعث». وأعجبتني لكنته في نطق الإنجليزية القديمة،ركضت باتجاه قدس الأقداس متجاهلًا التهديد وما يجري خلفي حتى لو كانت رصاصات يطلقها مطاردي من مسدس صُنع في القرن الثامن عشر، ولما تَيَقَّنَ من إصابتي قال لي بنفس لهجته المتعجرفة: «ابحث عن قبلة الحياة أيها الأحمق يا ردف القرد».

رصاصتان في كتفي وفي ساقي،بكيت ألمًا،لو أراد أن يقتلني لفعل،شعرت بأطرافي تتجمد،اقتربت من قدس الأقداس،شعرت به يتوقف عن مطاردتي،سمعت من بعيد صوت خيوله ترحل،افترشتُ الأرض أواصل البكاء، «تَبًّا! أنا أموت!». وفي قلب قدس الأقداس كانت لوحة هائلة لامرأة

شديدة البهاء تشير بإصبعيها السبابة والوسطى،أُلقِيَ على وجهها مزيج من ألم ومن قداسة شعاع نور لم أتبيَّن مصدره،أكان نورًا سماويًّا؟! بعد أن اعتادت عيناي الظلام رأيت النور آتيًا من باب مُوارَب لونه أزرق شاحب يصنع بالغبار صلاة خاشعة،تَحمَّلت ألمي ولملمت جسدي ودموعي وتوجهت إلى الباب الذي بان منه شعاع النور،بعد أن اخترقته حَجَبَ النور الرؤية عن الآتي من الظلام،لحظات أخرى مرَّت حتى بدأ المشهد يتَّضح،ممرِّضات من روسيا كمخلوقات فضائية،شقراوات بجبهات عريضة ورؤوس كبيرة وابتساماتهن مرعبة،اخترت أكثرهن قبولًا واقترابًا من الشكل البشري وقلت لها: «أنا أنزف،هل تساعدينني؟!»،قالت: «لِمَ لا؟».الحجرة أشبه بعنبر في مستشفى حرب تحت الأرض بسقف جمالوني،وفيه عديد من المرضى والجرحى، وكان الجميع يتحركون في كل اتجاه وفي نفس الوقت كذَرَّات غاز تتحرك بنفس العشوائية والنظام. قالت: «هل معك إثبات هُوِيَّة روسية؟!». قلت: «وهل يمكنك أن تنقذي مريضًا باسم الإنسانية فقط؟!»،قالت: «بالطبع، ولكن في حال سؤالك عن علاقتك بي فأتمنى أن تكون شهمًا معي بما فيه الكفاية لحمايتي من العقاب». قلت: «أمرك»، ولم أعقِّب!

جرَّدَتني من ملابسي وبدأت في تطهير الجروح وأخرجت الرصاصات بمُعِدَّات من القرن العشرين رغم أن الرصاصات أُطلِقَت من قرنين خلَوَا،انتابني وجع لذيذ وبدأت جفوني تستسلم...!

***

كان مودست موسورسكي قد ألَّف مقطوعة موسيقية باسم «معرض لوحات» تكريمًا لصديقه التشكيلي الراحل هارتمان، وكان اللحن الافتتاحي لهذه المقطوعة هو نغمة التنبيه لهاتف المهندس جلال الشربيني ماركة «نوكيا» ذي النغمات ثلاثية الأبعاد،وهي التي أعطَت اللحن انطباعًا بأنه صيني أكثر منه روسيًّا.كانت المكالمة من فنِّيّ الميكانيكا في أحد العنابر يُبلِغ بمشكلة لديه،هُرع

الرجل المجدّ في حماسة إلى المكان المطلوب بينما خطة العمّ نبيل تؤتي ثمارها في احتجاز القراميط في الجوال البلاستيكي،أما العمّ نبوي فقد استكمل نومه العميق في العنبر المهجور دون التفات إلى اتصالات المهندس جلال الذي واصل التحرُّك نحو العنبر الذي حدثت به المشكلة، لعله يستطيع أن يجد حلًّا دون مساعدة.

***

أفقت، وكان كل نور قد اختفى،وجدتُني مقيَّدًا بسلاسل جعلت يدي فوق ظهري ووجهي ملاصقًا للأرض عاريًا باردًا، وبجسدي رعدة ولذاذة من خدر الألم في صندوق خشبي محكم الإغلاق،عاجزًا عن تحريك اليدين أو القدمين.العالَم صامت إلا من صوت الريح الثرثار المخيف. «أنا أموت»،صحتُ جزعًا وتسليمًا، لكن صوتي لم يفارق حنجرتي،كانت عصابة قد وُضعت على عيني وسدادة فوق فمي، وربما تركوا لي أذنيّ عارية لأتلذذ بالتعذيب،مع انسحاب الرُّوح من كل عضو بالجسد كانت البرودة تحتلُّها وتحيله إلى جزء من تمثال حجري ويبدأ الدود بالزحف على العضو المتحلِّل،بدأ الأمر بالقدمَين ثم تَحوَّل إلى الساقَين...!

***

أُصيبَ العمّ نبيل بالرعب بعد أن كان يتراقص فرحًا، لأنه لما استكشف الجوال الذي اصطاد به القراميط لم يجد ولا حتى سمكة صغيرة،ذُهل الرجل واكتسح الشيب ملامحه فأضاف مئة عام إلى سِنِّه،في الوقت الذي سُمِعَ فيه صياح العمّ نبوي المرعب لما عادت الحركة إلى اللوحة الإلكترونية المهجورة التي ألقت بكل تاريخها المترب وعناكبها النادرة وبيوتها الواهنة على الرجل النائم في وداعة،تَجاوَز الأمر صرخة الرعب إلى التبوُّل اللاإرادي!

***

تحكي القصة أن فتاة حملت الجسد المقيَّد المهترئ إلى حيث احتلَّ رأسُ الوعل حائطَ قاعة أنيقًا، الرأس الذي نبت على جانبيه قرنان متشعبان تَحوَّل إلى رأس شيطان،الجسد الذي بين الموت والحياة وقد بدأ الدود يزحف على أطرافه الميتة مربوط من عنقه بطوق متصل بسلسلة كحيوان برِّيّ. الفتاة كانت ترتدي حذاءً جلديًّا ذا رقبة طويلة ولم يكُن يغطِّي جسدها غيره وفي يدها كانت السلسة التي تطوِّق عنق الجسد،جميلة وشرسة.

صاح الشيطان: ألستُ بربك؟!

ردّ الرجل الذي هو بين الموت والحياة: لا أدرى!

وصرخت الفتاة بصوت مخنث: قل بلى،نُحيِكَ!

وصمت الرجل الذي بين الموت والحياة.

فقال الشيطان: على رسلك.

فركلت الفتاة الرجل الممدَّد في قدمه فتطايرت الأشلاء عظامًا ممتزجة باللحم ودمًا ممتزجًا بالدود.

***

ضغط الرجل الزِّرَّ الأخضر فبدأت مروحة المحرك في الدوران!

قال ملاحظ الوردية لرئيسه المترقب على الهاتفالذي يتابع المشكلة كأنه يحلم:الحمد لله،أصلحنا العطل.

obeikandl.com

اللا منتهى

مساء الخير، أنا اسمي آداجيو، هل تستغرب تحية المساء بينما تستعدّ الشمس للشروق؟ الحقيقة أني أعيش في عالَم مُوازٍ لعالَمكم،كل شيء هنا هو انعكاس في مرآة،فالشمس هنا تستعدّ للغروب، بينما يجلس شبيه لي في عالَمكم ليكتب بقلم ذي سنّ رفيعة كأنه إبرة حياكة «صباح الخير،أنا ويجاداآ،هل تستغرب تحية الصباح بينما تستعدّ الشمس للأفول؟ الحقيقة أني أعيش في عالَم مواز لعالَمكم...»، وتستطيع أن تخمّن أن ويجاداآ يكتب قاصدًا العالَمَ الذي أنتمي إليه،بينما أقصد أنا -توأمه المعكوس-عالَمكم!

ولقد قصدت أن تكون كلماتي هذه ترجمة أمينة لرمزية «لعبة كل شيء» أو لعبة «اللا منتهى» كما سمَّيت النَّصّ،وهي تتضمن وصفًا تفصيليًّا لمئة وثمانٍ وستين ساعة من حياة الآداجيو تسبق حدثًا هامًّا في دولة «اللا شيء»،وهي تستعرض ما دار في لا وعي الآداجيو بدقة لا متناهية وسيرته الممتازة في مئة وثمانٍ وستين ساعة مشرفة تمامًا لهذا الفتى.

ولقد وجدنا في مقدمة مذكرات الآداجيو الفرنساوي- «الميروفنجي» كما أراد أن يسمِّي نفسه تيمُّنًا بالملوك المؤسسين لدولة فرنسا أو أول برنامج للذكاء الصناعي- ما نَصُّه: «ولقد خُلقت مهندسًا،كما هي صفة كل إله في هذا العالَم».

كان آداجيو سافر إلى مكان بعيد ليقيم طقس الكتابة عن الساعات المئة والثماني والستين التي سبقت الحدث الثوري في دولة «اللا شيء»، ويجوز أنه فعل هذا

ليؤكد التطابق بين الماضي والمستقبل، وإجمالًا يصبح المطلق هو أن تتطابق فكرتنا عن الحدث حينما يصبح ماضيًا مع فكرتنا عنه حينما كان مستقبَلًا، ونجد الآداجيو قد كتب هذه الجملة في مذكراته:

«كل مرة سفر هي ميلاد جديد، هي قدر جديد».

ولكي نتخلَّص من الارتباك الذي قد يسبِّبه الجدول الزمني الذي من خلاله كتب هذا النَّصّ فلا بد أن نتفهم حقيقة الحدث، فالحدث ليس لحظاته فقط ولكنه التشوه اللا نهائي الذي يصنعه في ذواتنا، وهذا ما يفسِّر تمامًا طريقتي في سرد سيرة الساعات المئة والثماني والستين للآداجيو الفرنساوي، لكن الحديث في المطلق سيُحِيلُني إلى كاتب من النيرفانا يكتب مذكرات تنتمي إلى لحظة قدر في يوم القيامة.

يقول الآداجيو: «كانت الساعات المئة والثماني والستون تبدو خريفية، ولم يكُن ثمة سبب مقنع سوي اقترابي من فوهة ثقب زماني، إذ على مقربة من المكان الذي قضيت فيه ساعاتي الأخيرة قبل الحدث كانت تدور معارك تنتمي إلى عشرات السنين المُوغِلة في مجهولات التاريخ، كنا في الصيف، وكان يحيطنا من الشمال مقابر جنود مجهولين، وجنوبًا كان بحر من أغرب البحار، فالرمال هناك مزيج من السائل والصلب والغازي،وفي وقت العواصف كانت تلفحنا بروائح الدم القديم».

ويبدو أن هذا ما أثار ارتباك المشاعر المتبلِّدة لدي الآداجيو الفرنساوي»، ومن فرط الغرابة أراد أن يحوّل كل إلهام يتحقق له إلى إنجاز،وفي هذه الأيام بدأت تتبدى لدى الفرنساوي صورة ذهنية مكتملة عن نَصّ «المجتمع السري المحدود للمتوحِّدين»، ونحن لا ندري ما الذي ألهمه هذا النَّصّ، ربما السَّكينة الغريبة التي لفَّت عالَمَه، أو اقترابه غير المشروط من مُلهِمه ومُدِيره ومهندسه الأكبر سمرمون الجنوبي، فالأخير كان بالنسبة إلى الآداجيو أسطورة تمشي على

الأرض، وصورته أكملت النواقص في اللوحة الشخصية للآداجيو. وعن هذا كتب الآداجيو: «كان سمرمون مثالًا حيًّا للكمال الإنساني، يرتدي ما طالته يداه من الملابس، يأكل ما حضره من الطعام، ينام ما وسعه المكان لأي عدد متاح من الدقائق فيستعيد نشاطه الذهني والعضلي، ويعمل لساعات طويلة، ورغم ضآلة جسمه فقد أُعطِيَ قوة خفيَّة مكَّنته من التعامل مع مسائل الفكّ والربط بسهولة ويسر. لا أحد عرف من أين أُعطِيَ الجنوبي هذه القوة، وإن كانت تخميناتي اعتبرته إنسانًا يعاقب ذاته بإغراقها في عمل شاقٍّ مستمرٍّ مجرَّد، لكن تجربة الاقتراب علمتني أن الجنوبي يستمتع بكل لحظة من العمل الشاقِّ كفَنَاءِ صوفيٍّ في عشق الله».

كل شيء حول الفرنساوي كان مثاليًّا جدًّا وروحانيًّا جدًّا كالجنة. الجنوبي كان ضدّ الحدث الثوري. الفرنساوي كان متحمِّسًا جدًّا كزوج ينتظر مرة جماعه الأولى،وعلى هذا لم تخلُ السخرية المتبادلة بين الرجلين من الاحترام وقليل من الشفقة. كان الجنوبي يرى النظام وقد انتمي في دولة «اللا شيء»إلى الناموس الكوني الأعظم، بينما الفرنساوي كان يؤمن باقتراب تَحَقُّق الناموس الكوني مع انهيار الساعات المئة والثماني والستين، والدليل -من وجهة نظره- هو هذا السلام الرُّوحي الذي يشعر به، عن هذا كتب الفرنساوي: «لم أعرف سببًا للسلام الذي يغمرني، هل كان الإيمان بالحدث، أم الاقتراب من الجنوبي المبجَّل؟ هل كان السبب رقصة في حمام سباحة خاوٍ وقت الغروب، أم الأثر الرُّوحي الذي تركه في كتاب كنت أقرؤه وقتها؟».

محاولة تشغيل آلة اشترك فيها الفرنساوي والجنوبي أشبه باليوتوبيا، وفكر الفرنساوي في كل الأشياء التي سيحتاج إليها الجنوبي ليُعِدّ تقريرًا مفصَّلًا عن الآلة التي استغرق تجميعها شهورًا وتشغيلها أيامًا. وكان إلزامها بالخدمة هو الهدف من آلة ستحمل الحلم من الأرض الشرقية إلى الأرض الغربية البعيدة! فكان إخلاص الجنوبي للوطن إخلاصًا للغرباء كما تُحتِّم عليه وظيفته.

الفرنساوي غير الجنوبي، يعمل عددًا محدودًا من الساعات يحاول أن ينجز فيها القدر الأكبر من المعرفة، لا يخلص لواحد من فنون الحياة لكنه يبدو شَرِهًا لها كالشحَّاذ على مائدة الأمراء، نشأ في النعمة فلم يشغله في حياته أي شاغل عن دراسته ونومه والموسيقى والتعمُّق في لاهوت المرأة، أما الجنوبي فكانت حياته حربًا من أجل البقاء، ورث تجارة عن أبيه وعمه، ورغم ثرائهم الفاحش فتربيته أجبرته على الولاء الكامل لكسب العيش، الجنوبي لم يعرف يومًا النوم المريح أو فنًّا غير فنون الآلات، ومعرفته عن لاهوت المرأة صفر.

التقاء السالب والموجب في شخصيهما فجَّر كل هذه الطاقة الرُّوحية التي ظلَّلَت الحياة وألهمت فريق العمل إنجاز مهمته شبه المستحيلة بسبب دقة الفرنساوي وجَلَد الجنوبي، وقد كتب الفرنساوي عن هذا الأمر ما نَصُّه: «كنت أختزل العالَم في صورة قيم محدَّدة للتيار الكهربائي، وربما أجرى عقلي عددًا من الحسابات ليحدد التيار الأنسب لبدء التشغيل وتتابعات التغشيل للآلات الصغيرة كي تبدأ الآلة الكبيرة في العمل، كنت حريصًا على الحفاظ على الأمبير في مداه المثالي، كما كان حرصي على تسجيل كل ما يخصّ الآلة الكبيرة من أرقام حتى تلك التي لم يكُن يهتمّ بها سمرمون».

في مرحلة لاحقة من النَّصّ سيتضح أن الفرنساوي سُحر تمامًا بهذه المرحلة واعتقد يقينًا أنه سيواجه مصير شاعر إسباني في ثورة دولة «اللا شيء»!

المذكرات الأمينة لثورة «ماكان» و«ماسيكون»

بقلم الآداجيو الفرنساوي

كان المتبقِّي من الزمن على تفجُّر الثورة ضدّ الدولة الدينية الأولى في العصر الحديث لدولة «اللا شيء» سبعين ساعة،وإذ كان عملي إلى جوار المحاربين القدامى فقد كنت أري أعلام وطني ترفرف بالأبيض والأسود في مسيرات

ثورية حاشدة، عامين ونصفًا نحن في الطريق، وكل حماسي لمعسكر الثوار أقلق سمرمون الذي انضمّ إلى معسكر النظام، انقطعت عن جدال كل إنسان حول جدوي الثورة، وقبل العرض اتضحَت الرؤية، وأسقط حكم الرجل الذي يمثِّل رئيسًا لدولة «اللا شيء» تاركًا عددًا من علامات الاستفهام ومبرهنًا على أن فصل الخير عن الشرّ في كل تاريخ الإنسانية كان محض هراء وكذلك كانت سذاجة الخياليين الكلاسيكيين.

بعد ثورة دولة «اللا شيء» حملت كتابًا وأوراقًا وقررت أن أختبر الحدث بنفسي، هل كان الأمر سينجح؟! هكذا كان قلقي وترقبي بعد أسابيع من تأثير: أولًا «كاستاليا» ثانيا «ثورة كل شيء».

جاهدًا حاولت أن أنجز قراءة كتاب «لعبة كل شيء»، أوحت إليّ الساعات المئة والثماني والستون الأكثر رُوحانيَّة في حياتي بكتابة ملاحظة عرضية، «بعد الاستيلاء على الحكم، سأصبح نموذجًا مُلهِمًا لكثير من المؤرخين والأدباء بشخصيتي الحالمة المجنونة الحادَّة المتواضعة المغرورة في آن، تلك التي تميل إلى التحليل الدقيق وإعمال نظرية الاحتمالات رياضايًّا بكل قرار بشكل خيالي سيريالي وحالم، ومحاولة صناعة مجتمع تنتشر فيه المعرفة مع الغرابة والصفاء الرُّوحي مع الاكتمال الحِسِّيّ».

وبأثر من السلام الذاتي المقترن بالرمال البيضاء الصحراوية الممتزجة مع بحر الشمال الذي يفصل بين كوكبين متلاصقَين حاولت أن أفكر في مصيري بعد الساعات المئة والثماني والستين. الوقت بعد حدث الثورة التي سوف تحدث بعد مئة وثمانٍ وستين ساعة بنحو ثمانية أسابيع، وكنجم في السماء فسرت الأمر، هنا كتبت: «رأيت اليوم إشارة من السماء لا أحبها، ذلك الذي يشبه نجمًا فيضيء بشدة ثم يختفي! بربكم ماذا يمكن أن يكون؟!».

كنت كمن ضُيِّع في فلاة كونية، ظلام سرمدي، لا أنشط إلا بعد الغروب،

بينما أسلم نفسي إلى عالَم «لعبة كل شيء»في النهار محاولًا إنجاز أكبر قدر من القراءة في أماكن شديدة الخصوصية، أمام حمامات السباحة، أحلم برقصتي في حوض استحمام خاوٍ، رقصة من الخريف في وقت الشمس المكسورة التي تغريني باستعمال آله تصوير لأصوِّر السماء، هنا أيضًا كتبت: «لا تزورنا السماء في أحلامنا،ما دمنا أسري مستنقعنا الأرضي».

في رحلتي نمت باكرًا بأثر المرض!

وفي خضم القراءة تكررت ظاهرة غريبة هي أن ترتبط مرة نومك التالية بحدث يعيدك إلى اللعبة، فعلى طريقة «لعبة كل شيء» صمّمت في أثناء نومي نموذجًا للأنثي المطلقة «سيرة أنثي بلغت حد الكمال»، وصممت كذلك نموذجًا لـ«أستاذ أعظم»، وبأثر المرض قررت أن أبتلع الكرات الذهبية وشعرت بأثرها في حلقي «فسُقُوا ماءً حميمًا فقطَّع أمعاءهم».

محاولًا فهم الظرف النفسي الذي أحاط بالساعات المئة والثماني والستين الأخيرة، وبأثر من الارتباط برمال الصحراء البيضاء حاولت تفكيك كل الصور الذهنية المترسبة في هذا العالَم، «يقولون إنك إن أحسنت صياغة جملة، فإن قدرة العقل الواعي تفوق قوى الإلهام».

الله: رأيته بعباءة بيضاء – صوفية –في هالة من نور، مسلسل متلفز يعرض صورة عجوز يتحدث بلسان الأنبياء، «يقول إبراهيم:...». حملَت الصورة في ذهني مشهدًا من نباتات الصحراء الخضراء المقترنة بالرمال البيضاء!».

اللا نهاية: هذا الإحساس الذي يحمله الرياضيون –العلم يقينًا بأن كل ما له بداية له نهاية– لكن اختزال عدم القدرة على الإحصاء، يكفي أن تضع دائرتين متجاورتين يمكن رسمهما بامتداد واحد «∞»، وفكرت في حصد رمال الشاطئ، واحد، اثنان، ثلاثة، واحد وخمسون ومئتان وأربعون ألفًا!

الرُّوح: لدى الرُّوح فضاءات ثلاثة: السماء والمحيط والصحراء، الفلسفة تبدو بديلًا ذكيًّا للعقل عن عدم القدرة على ابتكار سفينة فضاء مريحة حتى تيمِّم شطر الدب القطبي.

بشر: من هنا مرَّت الأشباح، آثارها بدت كحافرين مدبَّبَين، ألا يستحْيُون من متسولِّي الغرابة!

كنت أمارس طقوس «كل شيء» بشكل آلي وازداد إعجابي بالبُوصْلة التي تحدِّد لك أكثر شيء تريده في الحياة، ومثل كتاب مقدَّس كلما تَقدَّمْت ارتقيت وربما نلت ثوابًا بمحاولة القراءة، ورأيت أن فصولًا كاملة تستحق أن تضاف إلى «اللاهوت المقدَّس» وتمنيت أن تكون المجدليَّة هي المسيح وأن تكون حواء هي أبا البشر المحتفى به. هذه الجميلة ستموت على أي حال!

فيمَا سيكون،ربما أشارت بُوصْلتي إلى كوب شاي بنكهة البرغموت كي أواصل مضغ الكرات الذهبية التي هي ماء حميم يقطِّع الأمعاء، نصف مريض يساوي تقريبًا بشريًّا يمارس فعل الإلهام، أنا، وصنعت لذاتي كائنًا أسطوريًّا، نصفه بشري ونصفه الآخر مزيج من سمكة وثعبان وطائر مع التوصية بأن تكون الألوان مستوحاة من ريش هدهد!

فيمَا سيكون، سأكتب مذكراتي في يوم القيامة لأخبر العالَم في فقه «ما كان» أن الحياة وهم وأن الزمن وهم وأن الحدث وهم، لذا فإن كل ما عشناه واقعًا هو ما كنا بانتظاره بترتيب وهمي برمجناه في رأسنا مُسبَقًا، وربما ما عشناه فيما هو لاحق، ربما لم نعشه قَطّ...!

بعد انقضاء عدة أسابيع على حدث «ما كان» و«ما سيكون» أردت أن أكتب رسالة إلى سمرمون الجنوبي أخبره فيها: «لدَيّ توصية بالبحث عن طرق جديدة في فهم التاريخ، ربما باستخدام الثقوب السوداء ومنحنيات الزمان مكان في

الصحراء السماوية، مَن يدري؟ قد نجد فجوة توصِّلنا إلى مكان محدَّد الملامح، حيث وطن وثورة و«ويجاداً» مكافئ يكتب الآن وقت الغروب بينما تستعدّ شمسي للإشراق».

الصيغة المختصَرة لنَصّ اللا منتهي

تستنزفنا الحياة، وسيكون فعل الكتابة كفيلًا بوقف هذا النزف حتى حين، القراءة نزف والكتابة ضمادة والتأمُّل ترياق، هل كان الزمان وهمًا؟!

الزمن الفاصل بين ضغطة زر «نفذ»، ومصفوفة النتائج المنضبطة كمِنْضَدة في شكل مستطيل مكتمل.

في الصحراء حيث بيتي حكي الناس عن أشباح، لم أرَها قَطّ، وهذا فسره البعض بأني «ممسوس»، فالأشباح لا يري بعضها بعضًا، وفسَّرتُه أني نصف نصف، كفراشة قضت نصف عمرها دودة تغزل كفنها.

أقدِّم نفسي لكم، كآداجيو فرنساوي، فأر تجارِب زمني أو دودة قَزّ بشرية.

حيث لا يوجد إله

جلس المبرمج على سجادة نُقشت عليها طلاسم من أزمنة بعيدة، محلقًا في جوّ السماء، لا يلمس جسده السجادة، أمسك بقلمه الذي يشبه وحشًا أسطوريًّا بعين واحدة وسِنُّه أنْفُ التنين، ولعله كان يكتب به، فلا هو أمسك بالقلم، ولا سنّ القلم الرهيب قد ترك أثره على لفائف البردي،لم يكُن يكتب بأي لغة معروفة، فقط كان يترك مجموعة من الخطوط القصيرة والمنسابة كدقات القدر، اعتاد دومًا أن يصنع حيوات ويبني أحلامًا، يُزهِق أرواحًا وينتصر لعروش، يهدم ممالك ويبني أخرى، يصنع الدراما من الحب، أضاءت له مجموعة ذات الكرسي وأحاطت به سحابات النجوم مثل الخلّ المنسكب الذي اعتاد أن يمحو به كل شيء شكَّلَه بأحباره في القديم، كل شيء هنا سرمدي،إذ كان بمقدورك أن تتحرك بهدوء، وأن تطير في الفضاء حيث شئت، وبطلي يحمل اسمًا ينتمي إلى أرض بعيدة حمل مثلَه ملك مخنَّث اسمه «سمنخ كا رع»، هنا سأسمِّيه «كا».

حيث الجحيم، «كنت أعرف ترتيلك، نصطفّ في جوّ المساء، النسمات الباردة في الجو الحارّ مخيفة كالمجهول، صوتك الخاشع الباكي، وحيث أطلَّت علينا الشجرة المتحركة، تشتعل كعقرب باللون الأصفر والأحمر، ثم تعود لتهدأ، تتنفس، الموت حيًّا أسوأ كوابيسي، والشمس حمَّرَت السماء وأنت في قبالتها جالس القرفصاء، بينما كنت تخلخل أذهاننا في الحديث بين الجنة والنار، كان الجحيم شجرة».

وحيث البيت، «الذي صار ذكرى وترابًا، تراه من فلق في زجاج نافذته

الأزرق كشف عن كراسيَّ مرتبة بأذرُعِها الفضية وجلودها الخضراء، تفوح منه رائحة السولار الذي نظّفَت به النساء كل الأركان، ووشى لك الصمت بكل الأفعال الماجنة لآريا، شهيَّة مثل قطعة لحم مدهونة بالنبيذ ومشويَّةعلى الفحم، ومشاهد الشرفة البليدة لزمن متوقف، والصندوق الزجاجي الذي وُضعت فيه جمجمة كُتب عليها (غدًا ستصبح مثلي)...».

وحيث السحاب، «اكتسب المرء القدرة على التحليق،(وفي الملكوت موعد)، وحين أشرق القمر لم يشرق، حجبته السحابات، كنت أحكي في الصغر أن عين الإله لم تنظرني، محمَّلًا بالحقائق التي خلفتها أنوار الراقصة، زينة شجرة عيد الميلاد تحترق، محمولًا على أجنحة التثاؤب، صعدت،أمي السماوية بين السماء والأرض، عارية وناهدة وعذراء وطفلة، وسقتني كطفلٍ حتى ارتويت من ثديها، ثم حملَتها الريح، ورأيت القمر».

وحيث الجليد، «كنتَ تؤدِّي رقصتك، تقطع بي الطريق، كل الطرق القديمة، كل الحانات، حيث كان الملأ يفِرُّون، شربوا الكونياك ليهربوا من برد السنوات الجافَّة، مؤخرتك العظيمة تشبه ذكرًا لطائر داجن، محاط بريشِك وذكرك المزعوم، وعند هذه النقطة احترت هل أنت الصديق الملحد أم الشابّ ذو اللحية، وحبيبتك هي حبيبتي، تنادي كلينا بـ(يا مائي)،وهي الرهان بعدد مرات (يا روحي)التي ستقولها لأحدنا أكثر من الآخر، كنت ترقص رقصة البطريق، تتأرجح...وهي أيضًا».

الفوهات الدائرية أخاديد وحُفَر القمر، شاهد قبر مرمري، كُتب عليها تعويذة، «لا ينبغي للقلم أن يلمس الصحيفة، سيمقتك الكل لأنك تتحرك بحرية»، كانت الأرض البدر تضيئه، تشرق بزرقتها على ظلامنا السرمدي.

كود Z33: اليوم الآخر

بيضاءُ كالثلج، تنظر في خشوع إلى المدى، من بين مصباحَي الشمع على جانبَي البيانو أطلَّت، رسمَت حول وجهها هالات نورانية مثل قديسة، تصنع حدثًا، وتحكي،في مهارة الانتقال بين الأبيض والأسود.

كنت قد بدلت نغمة الرنين الخاصة بهاتفي ماركة «سوني إريكسون» موديل «W٩٩٥»إلى إحدى أغنيات أندريه بوتشيلي، وبعد مقدمة بطيئة صاح صوت التينور منتشرًا في الفراغ من خلال سماعات الهاتف العريضة البرتقالية «somos novios»، أتاني على الطرف الآخر من قناة الاتصال صوت زميلي في العمل محمَّلًا بكل تفصيلات المكان الذي يتحدث منه كأنه يتحدث من المريخ، رغم أن الفاصل بيننا كان عدة كيلومترات، «سنبدأ التشغيل بعد نصف ساعة من الآن»، قلت له «سألحق بكم».

أطبقت شِقَّي الهاتف، فأعلن عن تبقِّي ألفين وثمانين دقيقة!

ألفان وثمانون دقيقة كانت تعادل عمر الإنسانية، هي التي كانت تفصل بين عودة إلينا المولودة الميلاد الثاني في اليوم الخامس والستين من عام ألفين وثمانين والمحتجزة في المستعمرة البشرية «Z» في سِنّ ثلاثة وثلاثين عاما والمصنفة تحت بند «A»الذي يمثِّل القيمة القصوي للذكاء البشري، وخلال الألفين وثمانين دقيقة المتبقية من عمر البشر، إلينا كانت نصف سكان الأرض!

كنت قد لحقت بهم كما وعدت قبيل التشغيل بعدة دقائق، وكان زميلي

منهمكًا في الترتيبات النهائية، أسمعني الهاتف صوت التينور مرة أخرى إيذانًا بخبر جديد على لسان متحدث جديد، كان أبي يقول لي «البقاء لله، عمُّك تُوُفِّي»، وتلقَّيتُ الخبر صامتًا، ومن ثم أعلن الهاتف ألفين وأربع دقائق متبقية.

بعدها بدقيقة عاد إلى الحياة السيد جاهشوكي في ميلاده الثاني، وكان في سن ثلاثة وثلاثين عاما من سكان المستعمرة «Z» ويصنَّف تحت حرف «Q»الذي يعطي دلالة على القيمة الدنيا لمستوى الذكاء البشري.

الفارق الزمني في الميلاد بين الأنثي والذكر الأخيرَين كان محسوبًا بدقة نتيجة الفارق الطبيعي في مستوى ذكاء البشريين الأخيرين، وقدر الدكتور كارل أن العودة المبكرة للآنسة إلينا ستمكنها من استيعاب المتغيرات في وقت أسرع من السيد جاهشوكي!

وجيء بجسد العمّ مسجًّى مُغلَق العينين ممدَّدًا في صمت اللحظات الثقيلة، كشفوا لنا وجهه للحظات فبانت تضاريس مشهده الأخير لهذا العالَم، ربما اختزنت عيناه آخر مرة سيرى فيها باب بيته الأخضر المزيَّن بقطع الحديد المفرَّغ على شكل وردة خماسية البتلات.-

وكانت الجميلة تعزف الحركة الثالثة من السوناتا الثانية لشوبان في صيغة السيكرتسو، مباعدة بين ساقيها تصنع حرف «V» مقلوبًا، تبدو ساقاها في الحجرة الخافتة كجناحي حورية، قدماها المكشوفتان من خلف تنورتها السوداء المخملية، تحرك قدميها لتتحكم في شد الأوتار من خلال دواسة البيانو، ملكة أنت تصنع الأحداث.

إلينا كانت من سيبيريا، ولدت ميلادها الأول في عام ألفين وخمسة عشر، كانت تعمل سائقة شاحنات، أما جاهشوكي فكان من كينيا ويعمل عاملَ نظافة مراحيض، وُلد قبل إلينا بعام واحد أي في عام ألفين وستة عشر من ميلاد

رجل يقال له «مسيح»، هو أبو البشر،وفي الغالب كلاهما وُلد ميلاده الأول بعد الكارثة الإنسانية الثالثة. ونحن لا نعرف على وجه الدقة ما كنه هذه الكارثة. وفي الأغلب كادت الحياة تنتهي لولا أن بعض البشريين أرسلوا عيِّنات من كل أجناسهم إلى كوكب مُوازٍ أو أرض أخرى، ثم إنهم طردوا إلى أرضهم القديمة ثانية ليحتفوا بالنهايات.

وقلت لك يا ابن أخي إن المسيرة طويلة، ويا ابن أخي لا تؤاخذني بالأيام، ما نسيت لك حديثًا قَطّ، وقلتُ لك يا عم «ألا تخبرني بما رأيت؟»، قلتَ لي «ليس لي أن أتكلم بما ليس لك به علم».

وحينما التقى إلينا وجاهشوكي لم يظهر بينهما أي وُدّ، وكانت التحليلات الرياضية تُظهِر أن ما بقي لهما على الأرض ليس كثيرًا، وقالت إلينا الشقراء لجاهشوكي الأسود: «إن احتمالات بقائنا مرتبطة بأن تنجب لي ولدًا»، وكانت هذه أحد احتمالات «النظام الذكي»الذي يتحكَّم في المستعمرة «Z»، ثم جذبته من يده ووقفًا أمام النُّصُب التذكاري للدكتور كارل من اليابان مؤسِّس النظام الذكي وآخر من عاش من البشر قبل إلينا وجاهشوكي، وهو الذي استطاع أن يضيف إلى البشرية بضع عشرات من السنين، مومياء محنَّطة في قلب المستعمرة يرعاها النظام الذكي.

تَحدَّثا باللغة الأرضية المشتركة «X١»التي أصبحت لغة كل البشر في نصف القرن المنصرم، قالت: «لقد جهَّزونا يا صديقي من أجل أن نصنع المشهد الأخير للبشرية، هناك حساسات زمانية مكانية في كل مكان تسجِّل ما نصنعه باعتبار أن لمخلوقات أخرى فرصًا كي تشاهدنا»، قال: «وهل سيكون للمخلوقات الأخرى معرفة بطريقتنا في التسجيل؟»، قالت: «النظام الذكي سيدلّهم».

كان جاهشوكي أقلّ ذكاءً لكنه الأكثر حنينًا إلى الأرض، فقد حدَّث إلينا عن أرض آبائه وعن الشمس الحارقة وعن الكسل اللذيذ وعن المطر، ولم تذكر

إلينا شيئًا قط عن الأبيض والشجر والأرض الرمادية بأثر السحاب، ولم يكُن جاهشوكي يستوعب أنه خارج هذه المستعمرة لا يوجد مخلوق واحد على قيد الحياة حتى أخبرته إلينا فحزن حزنًا شديدًا.

كانت المستعمرة اختيرت بعناية فوق قمة سانت كاترين، وقدَّر د.كارل أنها آخر مكان صالح للحياة على وجه الأرض.

وقال جاهشوكي المضطرب لإلينا المستسلمة: ماذا عسانا نفعل؟!

قالت: نستمتع بالساعات الباقية!

– وأيّ متعة ستكون ونحن تحت سيطرة د.كارل ونظامه الذكي؟!

– على كل حال سنموت، أنت مُحِقّ تمامًا، لماذا لا نختار نهاية غير تقليدية؟

– ماذا تقصدين؟!

– الحسابات تقول إننا بُعثنا فقط لمئة وثمانٍ وستين ساعة إذا بقينا هنا، لماذا لا نخرج من هذا المكان ونختصر الوقت؟!

– قلت لي أن الشمس حارقة والأرض كتلة صفراء، ونحن عرايا ولن نتحمل الجحيم خارج هذا الوطن.

– منذ عقمت النساء والرجال وصاروا يتناولون طعاما معالجًا لا يخلِّف الفضلات، وبسبب درجة الحرارة المنضبطة داخل المستعمرات صارت الملابس شيئًا بلا جدوي، إلا هذه الأحذية الغريبة التي تبدِّد الجسيمات الكهروستاتيكية التي تنتجها الآلات التي تؤدِّي دور النظام الذكي.

نظر جاهشوكي إلى قدميه، ولعله لم يلحظهما قبل هذه اللحظة، فوجد هذا

الحذاء الأسود ذا الرقبة الطويلة تتخلله الحلقات المعدنية، ثم نظر إلى عضوه الذكري ثم إلى جسد إلينا العاري وزغب عانتها الذهبي متحسِّرًا على مهنته السابقة منظفَ مراحيض.

شعرك الأشعث وشحوب الموتى ونصف هلال من بياض عينيك المتبقِّي بعد إغلاق جفنيك، وحدقتاك الساقطتان كأنهما تخزنان صور الحزانيعلى موتك يا عم، وأُوحِيَإِلَيَّ أنه قد يعود حيًّا مستيقظًا من غيبوبته مبتسمًا للجميع وينتهي المشهد الحزين.

كان للنظام الذكي مستودَع يُسَمَّى «دولاب الذكريات»، فيه كانوا يحتفظون بسيَّارة إلينا ومعدات نظافة المراحيض لجاهشوكي، دخلته إلينا أوَّلًا وتبعها الفتى الأسود في استسلام ومرح، فقد أنقذته من عناء رسم خطة.

سألها: إلى أين نذهب؟!

قالت: إلى حيث ينتهي الوقود!

ضغطت إلينا بقدمها العريضة على دوَّاسة السيَّارة ثم انطلقت من دولاب الذكريات ومن ثم ودَّعَا المستعمرة والنظام الذكي وتذكارات جثث الموتى من البشريين.

– هل تعلمين ما سيحدث لنا بعد موتنا؟!

– لم يعد يفصلنا عن الجواب سوي لحظات، ما أعلمه أن فرص تَأَثُّر جسدك بالشمس أقلّ منِّي بسبب لونك الأسود.

تقود إلينا شاحنتها الصغيرة فوق الرمال الحارقة باتجاه أوطان كانت، قالت وهي تركز بصرها على العالَم الماثل أمامها: أخبَرُوني أن الله سيستدعي البشر بعد موتهم ويعدِّد أعمالهم ويحاسبهم، كانت الكنائس في مدينتي تحوي صورًا لمشهد

الله والقديسين وملائكة عذاب وملائكة رحمة.

– ولماذا يحتاج الله إلى كل هؤلاء ليحاسب البشر؟ لو أراد لعدَّد لهم أعمالهم كما تملئين خزان وقودك.

ارتبكت إلينا ولم يكترث جاهشوكي، لكنه صاح مشيرًا بيده إلى مكان بعيد:ماء!

– وجود الماء خارج المستعمرة يعني إمكانية وجود حياة على سطح الأرض، وهذا مستحيل.

دقَّقت إلينا النظر فتأكدت من صدق رفيقها ثم قالت:لدينا من الوقود ما يكفي.

ثم نقلوا الجسد منك يا عم إلى الحوض ليغسلوه،في كل شريعة يا عمّ كان لك صلاة وغُسْل، بياض أسنانك خطف البصر، لم تخلعه وأنت تهرول معهم، لعلهم يستبقون بعض أنفاسك.

ضحك جاهشوكي ثم قال: «ماذا سنفعل بالماء؟!»، قالت: «لعل هناك حياة!»، قال: «هل أُنجِبُ منك ولدا؟!»، قالت: «لم نتحابّ قط، كما أن احتمال أن ننجب لا يتعدى كسرًا مئويًّا».

بعد قليل من البهجة التي جلبها مشهد الماء، قال: «مجرد بركة ماء منسيَّة يا صديقتي»، قالت: «لا يا عزيزي، بركة الماء المنسيَّة تحولها الشمس إلى لا شيءفي عشر دقائق، لا بد أن الأمر أكبر»، قال: «تحملين روح التفاؤل بقدر قوتك في الضغط على دواسة السيَّارة»، ضحكت، فاستطرد: «أمَّا أنا فتعلمت أن أتعامل مع قذارة البشر!».

لما وصلا ضحكا كثيرًا، قالت: «نحن بلا ماء فعلًا، هذه مخلفات تدوير

المستعمرة، هذا ماء عفن!».

صدح الهاتف بصوت التينور، وكان على قناة الاتصال موظفة من إدارة البنك أوصتني بالزيارة لإنهاء بعض الأوراق، وأطبقتُ شِقَّي الهاتف وأعلنت الدقائق المتبقية ألفًا وتسعمئة وتسعًا وستين، وقال أرمسترونج: «خطوة صغيرة لي، قفزة هائلة للإنسانية!».

تتراقص فوق البيانو في لذاذة وفي ألم، تستوحي من رقصة الألحان مشهدًا للنهاية يرسم شعرها المتناثر في ضوء الشموع لوحة سرمدية لليل، نارية نظراتها كالألحان!

قال جاهشوكي: «إذا كان قد حُكم على البشر بالفناء فلماذا لا نفنى معًا؟!»، قالت: «سنموت على أيِّ حال»، قال: «تعالَي إلى حضني لنموت غرقًا في هذه البركة من الماء العفن»، قالت: «لكنك لست حبيبي لتحضنني»، قال: «فكَّرت أنه هكذا سيكون حميميًّا!» قالت: «سأسمح لك أن تمسك يدي».

أمسك يدها ثم قفزا في الماء الآسن يتضاحكان.

obeikandl.com

مقبرة

أربعون عامًا من الطرق لتقنعهم بأن بالمقبرة أحياءً!

obeikandl.com

obeikandl.com

محاولة رفع الحظر عن اللّه المتعدِّد

قال السائق: «الفاتحة لله»، وقرأتُ في سري الفاتحة، وعضّ راكب مسيحي على شفتيه غيظًا، كنت على قدر كبير من البراءة وأحمل معي كتابًا عن الإمام الشهيد وكتاب الرسائل للشيخ حسن البنا، كانت الشمس في ثلث السماء الأخير من عصر يوم شتوي أستعدّ فيه للعمل كما هو دأْبي أعمل ست عشرة ساعة في المصنع يقابلها أربعٌ وعشرون في البيت، كانت حالة نجيب محفوظ الصحية متأخرة وشعرت بالقلق، فالرجل قد تقدمت به السِّنّ والرجل ارتبط في مخيِّلتي بأبي الذي احتفل بنوبل في أواخر الثمانينات وأثنى على ابنتيه اللتين تسلمتا الجائزة نيابة عن والدهما المريض في شرقية وأناقة باهرة. ودَّع أبي الحياة بعد رحيل أديب نوبل بمئة وثمانية وستين يومًا. كانت السيَّارة ماركة «تويوتا» إنتاج عام ألفين وأربعة تحتاج إلى أربعين دقيقة لتنقلني من مدينتي التي تبدو- في ذهني- شقيقةً صغري لباريس،إلى مكان عملي في قلب الريف المصري، تمرّ خلالها بحديقة ذات أسوار عالية من النخيل تشبه الجنة، وراودتني فكرة أن لا بد للإمام الشهيد من ربوة بهذا الجمال في الجنة، كما كنا نمرّ على مقام لشيخ مجهول تحيط به أربع نخلات باسقات على شكل أرجُل دجاجات مقلوبة، وقيل إن الشيخ المقبور قد أتى طائرًا من الجزائر، وسقط في رَوْعي أن الأَوْلى بكرامة كهذه هو الإمام الشهيد الذي قُتل بطلقة غدر ثم تُرك لينزف حتى الموت بأوامر الملك في مستشفى قصر العيني وكفَّنَه أبوه وصلّت عليه النسوة وحُمِلَ في جنازة قوامها أربعة أشخاص،تمامًا كما كانت جنازة الأفغاني، وكثيرًا ما تَفكَّرْت في الأمر وتَملَّكَتني الدهشة، ولكن لله في خلقه شؤون، أولياء الله لا يحتاجون إلى

جنازة ضخمة، هم شفعاؤنا بذكرهم ولا حاجة بهم إلينا، وطلبت من أستاذي ودليلي ومرشدي الذي سألتقيه بعد دقائق في المصنع كرئيس مباشر أن نزور معًا قبر البَنَّا، ودُهِشَ الرجل وتَملَّكه حُبور جَمّ،وفي الوردية طالعت الكتاب عن حياة البنا، وكان المطلوب مني بالإضافة إلى بحثٍ عن الاتجاهات السياسية والاقتصادية في فكر الإمام البنا، موضوع خطبة جمعةٍ اخترته بعناية تحت اسم «العلمانية والإسلام».

كتبت ما سبق في أوراقي ووضعت له عنونا «المختار في جماعة الأخيار».

الله في هذه الحقبة كان إخوانيًّا تمامًا، فهو لم يكُن ليرضى عن السلفيين الذين ينفِّرون الناس من دينهم بتشدُّدهم، وهو كذلك لم يكُن ليرضى عن الليبراليين الذين يمثِّلون النظام الحاكم ويكرِّسون للصراع الطبقي بفساد الطبقة الرأسمالية الجديدة الحاكمة الفاسدة ونادي رجال الأعمال الذين يديرون الحكومة من واقع التفريخ الذي أنتجته «لجنة السياسات بالحزب الوطني» وأصدقاء ابن الرئيس. الله أيضًا كان شيعيًّا بنسبةٍ ما في هذه الفترة، ففي تلك الفترة كانت كتائب حزب الله تحقِّق نصرًا مُبِينًا على العدوِّ الصهيوني، وكان الله الشيعي هو تَفَوُّق الأسلحة الإيرانية غير التقليدية في حرب العصابات على الجيش الإسرائيلي النظامي، وكان الله السلفي يبتلي أتباعه بنصر الشيعة الذين هم في رأي أشياخهم أشدّ خطرًا على الإسلام من الصهاينة ليرى من يُفتن ومن يبقَى على الحَقِّ المُبِين، والواقع أن عشرات المساكين المسالمين قضوا في الضواحي الجنوبية من لبنان.

وكتبتُ عنوانًا للفقرة السابقة «لماذا انتصر حزب الله».

حوَّلْت نغمة رنين هاتفي النقَّال إلى أغنية حمَّلتها من موقع «المنار»، كانت كلماتها: «أنا العربي راح أبقى عربي، باعتزّ بأصلي وبنسبي، ما في قوة بتلغي وجودي، بتنسِّيني أصل جدودي»، وعند نهاية الجملة تنتابني قُشَعريرة مع دمعة ساخنة وجامدة، وكانت المساجد الناطقة باسم الإخوان في هذا الوقت

مكرَّسة للتقريب بين المذاهب في الدين الإسلامي، وكانت المساجد السلفيَّة تتحدث عن خطر الشيعة، لذا كان موقفهم من الحرب محايدًا تمامًا، وكان الأمر بالنسبة إليَّ مُزرِيًا جدًّا، فكانت فكرتي عن المقاومة أنها السبيل الوحيد لاسترداد الأرض وأن نصر المسلمين حتميّ ويومًا ما ستعود الأرض ونقيم الأعياد فرحًا، فقد نستمتع وقتها بملذَّات الحياة كأي شعب من شعوب الأرض، وعند هذه اللحظة كانت تمرّ عليَّ لحظة من كآبة؛ أيكون الانتصار سُنِّيًّا أم شيعيًّا؟!

كتبت ما سبق تحت اسم: «.....»، وآثرت أن لا أسمِّيها، فالفكرة كانت مُضحِكة جدًّا وسوداوية، وقررت أني سأتحدث عن الحِقْبة الليبرالية في حياة المختار، تحت اسم «حياتي في الجامعة».

كان الله الصهيوني فيتو في مجلس الأمن ضدّ قرار إدانة إسرائيل، وكان الله المسلم يبتلي أتباعه ليراهم أيصبرون حتى ظهور المهديّ أم يكفرون، لكن أتباعه لم يصبروا فتَفجَّرَت الانتفاضة الثانية، وكان المجتمع الجامعي يجمع بين فتيات يعِشْن قصص حب وفتيان يبحثون، وبالنسبة إليهم كانت قضايا مظاهرات الإخوان من أجل الأقصي هامشية جدًّا، رغم حماسة شباب الإخوان في الهتاف: «ولو عندك ذرة دين تشاركنا»، واستمرت المظاهرات ثلاث سنوات، وكانت في كل مرة تُلقِي بظلال كئيبة عليّ مما جعلني أصرخ في زملائي المقرَّبين بعد وجبة كشري: «أنا قابل للكسر»! الجملة التي أصبحت مثار سخريتهم بعد أن رشحوا لي اسم لاصق قوي لأستخدمه، وكان الله بالنسبة إليَّ سجدتين في المسجد الكبير خلف شيخي الأزهري الفقير المتواضع الذي لم يكُن يكلِّفني إلا ما في وسعي، وكان الجهاد في سبيل إلهي سهرة أنتهي فيها من حلّ مسألة في الرياضيات، وظلّ اعتراضي موصولًا على مظاهرات الإخوان باستمرارها لأنها جعجعة بلا طحن وتستنزف من اليوم الدراسي أهَمَّ ساعاته، ولم يكُن أساتذتنا التنظميون يدَّخِرون جهدًا في الدعوة إلى المظاهرة، مع التنويه بالفقرة الرئيسية،وهي مكالمة من فضيلة الشيخ المجاهد أحمد يس، وكانت المعارض الفنية التي تُقام من أجل

الانتفاضة (معارض يُسمح فيها برسم وجوه الأشخاص)جاهزة لتقدِّم أعمالها من أجل التعريف بالقضية الفلسطينية، ممَّا كان يُرضِي الله المسلم الذي لم يكُن ليرضى عن معرض الفن التشكيلي الذي يُسمح فيه بتجسيد الأشخاص، ولم تكُن فتوي الإمام محمد عبده تَلقى بالًا: «حرام إن كنتم تعبدونها»، وهذا مما كان يسبِّب توتُّرًا في العلاقة بيني وبين الله المسلم الذي أعبده، فالله الذي أعرفه كان بالنسبة إلى زملائي إلهًا ليبراليًّا جِدًّا، ومسيحيًّا في أحيان كثيرة، بينما كان الله بالنسبة إلى زميلي محب هو مروة الأغا، الفتاة الإخوانية التي كان يحبها ويشارك في المظاهرات ليظل بجوارها.

الفقرة الخامسة كُتبت تحت عنوان: «الله بعد بعد الحداثة».

وقت أن وقف الـ«مختار»على المنبر -في الواقع لم يكُن منبرًا لكن هكذا اصطُلح عليه- كان خطابه يساريًّا أكثر منه إسلاميًّا، رغم أن مختار صنَّف نفسه بوضوح ليبراليًّا يؤمن بالرأسمالية -إن هي طُبِّقَت بشكلها الصحيح- بيد أن الصبغةَ التي حملتها حياته في هذه الفترة كانت إسلامية، لأنه -كما ادَّعي- بحث في كل الأفكار الوضعية فلم يجد أنسب من الإسلام للتطبيق لفلاح البشرية، لكن الـ«مختار» كان يحتاج إلى الله الحق والجمال والبساطة والكرم ليواصل مشروع حياته بنجاح، الـ«مختار» بخلاف ما كان يحاول أن يقنع نفسه لم يكُن يومًا قوميًّا ولا إسلاميًّا ولا شرقيًّا ولا غربيًّا ولا مصريًّا ولا أوربيًّا، كان عالميًّا مثل إلهه تمامًا، لكنه كان في واقع الأمر منبوذًا ومستضعَفًا، إذ منعت جنسيته وعرقه ودينه شلال النور الآتي من الغرب، وهو الذي يرى الآخَر أسياد العالَم، يرونه وموطنَه كومة من الحشرات الغوغائية الاستهلاكية. إن ما حاول أن يقوله الـ«مختار» أننا «يومًا ما سننتصر ونصبح دولة قوية لنتفوَّق، ولكننا سنمدّ يدًا من الحب باسم العالَم والإنسان لم تستطع أيديكم أن تمتد به وأنتم أسياد العالَم».

كان الله المسلم يتولَّاه برحمة نورانية، وكان الله الغربي يقدِّم آلة ثمنها مليونا دولار تستخدم أعظم تقنيات التحكم الآلي، وكان الله يساعد أيمن ليتفسح

في باريس ويحصل على تدريب سينساه على باب طائرته وزيارة لمتحف اللوفر ليري اللوحات العارية الحرام ومبلغ عشرين ألف جنيه سيؤمِّن بها مستقبله وبضع حكايات تافهة عن باريس سيضيع بها الوقت مع زملائه في أثناء انتظار الأعطال.

الـ«مختار» كان يقسِّم عنابر المصنع مع زملائه، وكان الوحيد الذي يحمل لقب «مهندس»، أحدهم كان عاملًا والآخَر كان تقنياً، ولم يكُن الأخير يضحك أبدًا، وبدا جميع العمال الآخَرين راضين بأن أولئك الأحَقُّ بالإمامة دون سبب مقنع، ويخبرنا الـ«مختار» أن خطبته عن «الإسلام والعلمانية» كانت السبب المباشر لأن يجاهر بآيديولوجيته كليبراليّ علمانيّ في وقت كان زملاؤه فيه يتعوَّذون من العلمانية لأنها تغضب الله المسلم، وهذا ما حدا بالأشياخ إلى أن يضمُّوا نفرًا من المسلمين السُّنَّة إلى الفريق الذي هو أشَدُّ خطرًا على الإسلام من الصهاينة.

كان الـ«مختار» يؤمن بأن الله الصهيوني والغربي أكثر تقدُّمًا من الله المسلم الشرقي، والمسألة ببساطة أن الكل كان يبحث عن الله بمنطقه، فهو لم يكُن يخجل من القول بأن الله هو قوة الشَّدِّ والجذب اللذين يُبقِيان فانوس رمضان معلَّقًا وأن الله هو مجموع العزوم حول نقطة ساكنة يساوي صفرًا»، وأن الهندي الذي يعبد البقرة ربما لديه دوافعه الوجيهة، وأن المسلم الذي يُلَقَّن باستمرار أن الله ليس كمثله شيء ربما أكثر وثنية من الوثنيين.

هل انتهت القصة يا سادتي؟! ربما، لكن عزائي أن يتفهَّم الله دوافعي!

obeikandl.com

عاد.. برمجة لاهوتية

استيقظت من قيلولتي وقت الأصيل في صمت القرية وصوت العجلات الترُّدية، طرقتان متعاقبتان بينهما صمت قصير ثم طرقتان متعاقبتان، الصوت الذي أحدثه فراغ التمدُّد والانكماش لقضبان القطار الذي يبعد أربعة كيلومترات، مر القطار مثل حلم عابر، وكان عليَّ أن أتذكَّر الحلم الذي شاهدته للتَّوّ. كان من النوعية المعقَّدة من الأحلام على طريقة البرمجة بلغة «سي»،إذ تطورت طريقة البرمجة في اللغات الأحدث لتتحور من الخوارزمية العتيقة إلى البرمجة الكائنية، وبنفس الطريقة التي يصنع بها برنامج حديث، بدأت احتمالات مشابهة تتكون لَدَيّ في الحلم، فيحكي أن جدي تزوج بامرأة فصارت الأخيرة بالضرورة جدَّتي وأنها أنجبت سبع بنات وسبعة أولاد هم أعمامي وعماتي ومنهم أبي ومن بقي منهم على قيد الحياة، ومن هنا تَشَعَّبَت العلاقات التي تصلح لبرنامج قوي للحاسب الآلي أو لقصة عائلتنا المجيدة.

أحضرت لي صغيرة من بنات العائلة كُوبًا من الشاي، وطلبت منها أوراقًا وقلمًا لأدوِّن تفاصيل حلمي العجيب،وفي الوقت الذي ذهبت فيه لتُحضِر ما أردت كنت أحاول أن أتذكر أسعد ذكرياتي في هذا المكان منذ اثني عشر عاما قبل أن يهجر الجميع القرية وتبقى هذه الأسرة الوحيدة الباقية. كنا نلتقي وأبناء عمومتي هنا في عالَم يكافئ الدنيا رحابة وزَخْمًا وحيوية وسعادة وإثارة وقلقًا وألمًا...!

البيت الكبير كان مليئًا دومًا بالدراما، وبعد وفاة الجد بدا أن لا أحد سيسيطر

على البيت بشكله المطلق، فلكل أخ من الإخوة كانت ميزة. كثير من الإخوة الأربعة عشر كان زاهدًا في فرض سطوته على البيت، كثيرون رأوا في هذا المكان تأخُّرًا ذهنيًّا وأن الارتباط بالأرض لن يجلب سوى مزيد من الفقر والجهل، والواقع أنه في أيام المجاعة لم يكُن يأكل أو يشرب من كل العائلة إلا أبناء العم الذين تَدثَّرُوا بالأرض، بل كانت حياتهم مرشَّحة لأن تكون الأكثر رفاهية لولا عدم اهتمامهم بالموسيقى التي لم تكُن تصل إذاعتها إلى هذا المكان. لقد كان لدى أبناء العم الفرصة دائمًا ليروا الأرض الخضراء حتى المدى والنجوم اللامعة الكثيفة ما دامت لم تطمسها سحب الشتاء والأقمار السبعة القرمزية تامَّة الاستدارة ، كان لديهم زراعتهم وصناعتهم وأبقارهم وألبانهم وأصوافهم وسماؤهم ومعبدهم وفقههم وبيوتهم ووظائفهم وظائف أخرى لأبناء العمّ وأبنائهم في البلاد المحيطة الأكثر تحضرا،حتى إنهم لم يحتاجوا إلى إضافة سنوات جديدة إلى أعمارهم.

كنت أعلم أن الوطن أعقَدُ كثيرًا من هذا المكان، واعتبر البعض اختزال الوطن بهذا الشكل نوعًا من العبث -ربما قادني إليه تأخُّري الذهني أو توحُّدي، وقد ورثتُ كلتا الصفتين بشكل جيني- فقد كان لا بد من أن يكون للجمهورية رئيس،وكان لا بد للرئيس من رئيس للوزراء، وتحتهما كثير من الوزراء والموظفين، وكان لا بد من هيكل وظيفي معقَّد ليجمع شمل كل نواحي الحياة التي اتُّفق اصطلاحًا بين أبناء البشر أن يوكِّلوا من يعتني بشؤونهم ليتحقق شكل الدولة، وكان من بين ما عرفتُه أن هناك عالمًا سريًّا موازيًا يُسهِم -إن لم يكُن يتفرد- في صنع القرار!

هنا ينبغي أن أتوقف قليلًا وألفت الانتباه إلى أنه لدَيَّ الآن سبيلان لاستكمال النَّصّ،فقد أصنع جبلاويًّا لحارة محفوظ أو بطريركًا لدولة ماركيز، فأُسهِم في تفصيلات قريتنا مؤكِّدًا معنى الدولة أو الدين،دومًا كانت قصة واحدة يا سادتي وطرائق قِدَدًا.

كان ترحيب أبناء العمِّ بي لائقًا بابن العَمِّ الذي حصل على شهادة الدكتوراه من البلاد البعيدة في تطبيق من تطبيقات البرمجيات في الرياضيات البحتة، هناك علَّموني أن ما فعله النجيب والماركيز هو ما يُعرَف رياضيًّا بـ«الإسقاط التشكيلي»، إسقاط الوطن على القرية، نحن نحافظ على النسب بين الكائنات مع استخدام بعض المقاربات، ثم نسمح للعلاقات البينية والمعادلات التي تربط بين الكائنات بالتفاعل في محيط خيالنا الجديد، ثم نرسم النهايات التي نريدها وفقًا لنظرتنا إلى الحياة أو ما أكَّدته التجربة عن قوانين الحياة. كان الرأي صادمًا، وكشف زيف عصور من النصوص اللاهوتية والناسوتية، فقد كانت القصة هي الدافع إلى استلهام العبرة التي لم يتعلمها أحد.

من ثَمَّ ومن خلال مجموعة من المعادلات الرياضية كنت أستطيع أن أحوِّل البيئة باستخدام فكرة أن العالَم هو عدد لا نهائي من الأكوان الموازية، وأن كل شيء بحثتُ عنه ولم أجده كان يتحول إلى كون مُوازٍ من خلال حالة خاصة في علم الطبيعة اسمها الرنين، ثم إني كنت أعود فأجده فأكتشف أنها نظرية رياضية خرقاء، فمثلًا يومًا ما تحولت القرية إلى معبد في الصحراء، وكانت قصتها كالتالي:

مات الجَدّ مخلِّفًا أربعة عشر من الإخوة والأخوات، وتحولت أسرة الابن الأصغر إلى كَهَنَة المعبد الذي بناه الجد، وكان مخصَّصًا لعبادة الإله فلوربيستيشتو، وهو بدوره لم يكُن إلهًا معروفًا إلا بكون عدد كبير من الحجاج يقصدونه كل عام ويطلبون أن يضيف إلى أعمارهم أعمارًا جديدة من أقرانهم في الأكوان الموازية وذويهم الذين فُقدوا تحت الأرض. لك أن تقرأ القصة حسب ثقافتك.

أما الابن الأوسط فقد هجرت أسرته الصحراء ليبتعدوا عن كل هذا اللغط بحثًا عن الإله الواحد بعيدًا عن صراع الجبابرة أو الآلهة الوثنية. أما الابن السادس فقد كانت أسرته شديدة الالتصاق بأسرة الابن الأصغر فأرادوا أن يكونوا له سندًا في فرض سطوته على المعبد والحجاج، وكان لهذا الابن السادس

ابن نجيب درس في البلاد البعيدة علوم تحضير الأرواح وطرقًا مبتكرة لإضافة أعمار جديدة من أعمار الموتى، وكانت رسالة الدكتوراة الخاصة به في صناعة الخلود، وفكّر هذا الحفيد في أنه إذا صنع الخلود لعمه فقد يستطيع السيطرة على العالَم، وأسرّ هذا الابن إلى أبيه بفكرته في إحدى مرات زياراته من البلاد البعيدة التي يدرس بها، فرغم الألم الذي شعر به هذا الأب لكونه ليس المرشح لفكرة الخلود من قِبَل ابنه فإنه استحسن الفكرة، ففي النهاية الزعيم الرُّوحي للقبيلة من بعد الجد كان الأخ الأصغر، وحرَّض الابن السادس ابنه على استيراد كل ما يلزم لأجلِ أن يبدأ في بناء مصنع الخلود على شرف مجد الإله فلوربيستيشتو، وقد كان حظّي أن أعمل في هذا المصنع العظيم بعد ثلاثة أجيال من بنائه،وفي الواقع نحن لم نستطع أن نمنح الابن الأصغر سوى مئة وثمانٍ وستين سنة إضافية، ثم إن تقنية رفع العمر لم تكُن متطورة جدًّا لتلافي آثار الشيخوخة، وبدأت أتيقّن أن الابن الأوسط كان مُحِقًّا في هجرته (كنت من أسرة الابن الرابع الذين اشتغلوا بأعمال حرفية في خدمة الإله).

مضت سنوات، وبدأت تهبّ علينا رياح كئيبة، فالرياح المميتة كانت تحمل معها الرمال حتى ملأت جنبات المعبد وغزت غرف التحكُّم ومراجل الطاقة بعد أن أطل اليأس برأسه على منظومتنا الصناعية، فبسبب تكرار المشكلات في صناعة الأعمار بدأ الحجاج يهجرون معابدنا وأُشِيعَ أننا نحوِّل الأشخاص إلى مسوخ ولا نُطِيلُ أعمارهم، وقلّت الهبات والقرابين لفلوربيستيشتو العظيم، وذات نهار منكود أظلَّتنا السحابات، وقال الابن الأصغر إن هذه هبة من فلوربيستيشتو بسببها سيسقط المطر وسنتحول إلى الزراعة وستتوقف مواردنا من الاعتماد الأوحد على السياحة الدينية، وتَشكَّكْتُ في الأمر ودار في ذهني أن مصيبة لا بد أن تحلّ بنا، واشتقت إلى المهاجرين من أبناء العمّ. وقعت دولتنا الصغيرة وزعيمها الشيخ الوحيد الذي بقي على قيد الحياة من جيله في ظلمة محيِّرة، الأطفال كَفُّوا عن البكاء وجفَّت أثداء النساء، وكنا نشعر بالعطش حتى ونحن نمارس شُرْب الماء، وهربت كلاب القرية وتطاحنت الأغنام والأبقار

ثم استسلمت لمصيرها لمَّا عجزت عن الهرب، وساد الظلام مئة وثماني وستين ساعة، وقُبَيل نهاية الساعات ذهبت بحثًا عن أسرة الابن الأوسط التي هاجرت إلى الأرض الوطيئة، بحثًا عن الله والكلأ!

وتحتاج معادلاتنا إلى بعض التعديل لنُنتِج عالمًا آخر من نفس عَيِّنة الإسقاط التشكيلي، فيُحكَى أن أرضًا في أقصى شمال العالَم الناسوتي قد أمر الرَّبّ بها لتكون ملجأً لشعبه المختار، والموضوع لم يكُن له علاقة بالرَّبّ من قريب أو بعيد، لكن أحد أهم المعاتيه في تاريخنا اللاهوتي، وكان قوي البنية -أقوانا في الحقيقة- خمَّن أنْ لو استطاعت القبيلة التي ينتمي إليها أن تهاجر إلى الأرض البعيدة الباردة فسيصبح الحاكم الأوحد في قبيلة من النساء والرجال الضعفاء، فحمل القوم ما يكفي حاجاتهم، وكان أول من رحل هو النساء والصِّبْية، ثم تبعهم الرجال،إلى الأرض التي اختارها الرَّبُّ وسمَّاها، وصدقت نبوءة الابن الكاهن، فلم يكُن غيره قوة متمثلة في السلطتين الدينية والسياسية، وتَزوَّج ألفًا من النساء اختصهن الرَّبُّ به دون غيره من الرجال ولم يُشبِعن شهوته، واستمرّفي بطشه فسخَّر لخدمته ألفًا من الولدان بالسُّلُطات التي منحها له الرب. لكن البرد والقسوة نَالَا من قوته فقرَّر أن يرسل أحد أبنائه إلى الأرض الوطيئة ليتعلم تحضير الأرواح وصناعة الأعمار، وأرسل معه ليكون في خدمته أحد أبناء إخوته. وقد منعت الجينات الوراثية التي ورثها الابن عن أبيه من التحصيل الجيد ومن التعلُّم، فهو لم يكُن لينجح إلا بالحيل التي كان بارعًا فيها، أما مهارة الحفظ والتعلُّم في حد ذاتها فلم يكُن يتقنها، أما الفتى الخادم فبخلاف مخدومه كان نبيها نجيبًا حادَّ الذكاء، فبدأ بالتلقِّي من مخلَّفات مخدومه، ثم كان أن أقنعه بمصاحبته في قاعات الدرس فلم يعارض الأخير لِمَا يمنحه خادمُه من وجاهة اجتماعية بين الزملاء، وتعلم الخادم أنَّ ثمَّة ربًّا مختلفًا عن ذلك الذي كان يزعمه العَمُّ الأكبر، كان هذا الرَّبّ أكثر رحمة وأكثر نبوغًا ومُحِبًّا أكثر للخير والرحمة ويهب للمساكين أعمارًا بتحسين أوضاعهم الإنسانية، ويسرق من الظالمين أرواحًا لأنهم أشرار ولأنهم يتبعون نظامًا غذائيًّا ماجنًا، يأخذ من

أولئك ويعطي هؤلاء لأنه كان المُطلَق والعدل والرحمة. أَتَمَّ الخادم دراسته وحصل على الدكتوراه في علوم تحضير الأرواح، ورُفِتَ المخدوم لبَلادته وتواضُع مستواه، وعاد كلاهما إلى الوطن وقد اتفقا على أن لا يُخبِرا الأب الرَّبَّ الكبير بما حدث في الأرض الواطئة في مقابل أن يمتثل المخدوم للخادم ويطيعه في كل أوامره ونواهيه.

وأسَرَّ الدكتور الخادم إلى أُسْرَته بالأمر وطالبهم بالصبر وبطاعته حتى ينقذهم من بطش الأب. ولعلَّهم صدَّقُوه، لكنهم في الوقت نفسه دَعَوُا الرَّبَّ الذي يعرفونه واستخاروه كي ينجيهم إن كان ابنهم كاذبًا!

وتَقدَّم الابن المخدوم إلى أبيه بمشروع سيجعل الوطن جنة عن طريقها سيُضِيف إلى عمره أعمارًا كثيرة وسيكون ملكًا محبوبًا، ولم يكُن الشِّقُّ الأخير يعني الأَبَ الكبير في شيء، غير أن اقترانه برغبته التي سعي دومًا لأجلها في إطالة عمره قد جعله يُبدِي موافقته، وكان المشروع وطنًا أكثر إشراقًا وأقلَّ بردًا وأكثر زرعًا، وطالب المخدوم -بناءً على الاتفاق-بأن يعين الخادم الدكتور مساعدًا له في مشروعه.

عَمِلَا كثيرًا، وكان في ظاهر الأمر أن الخادم يساعد المخدوم،وفي باطنه كان العكس هو ما يحدث، وأنفقا كثيرًا من الأموال من بيت الكهنة لصناعة ألواح زجاج هائلة للوطن الافتراضي، وليصنعا شمسًا افتراضية ونباتات مختلفة للتمثيل الغذائي وأبقارًا وأغنامًا صناعية، ولكن خدعة محدَّدة صنعها الدكتور في جعل نسب الأكسجين تكفي أبناء القرية مئة وثمانِيَ وستين ساعة فقط.

وأَعَدَّ احتفالًا كبيرًا لاستقبال الأَبِ الرَّبِّ الكبير، وكان الابن المخدوم كالملك المتوَّج، فهو الذي قدَّم المشروع ونال ثقة أبيه وصار في حكم وليّ العهد، كان يبتسم للجميع في بلاهة دون أن يُدرِك من الأمر شيئًا أو أن يتفهَّم دوافع ابن عمِّه في تقديم مشروع كهذا،وفي نهاية الاحتفال أعلن المخدوم دعوته إلى

عبادة رَبٍّ جديد لم يسمعوا عنه قط في هذه الأرض، وأن هذا الرَّبَّ عدل ويهَبُ للفقراء والمساكين والضعفاء أموالًا وأعمارًا يسلبها من المتجبِّرين القساة الظلمة، وأنه في حكم الرَّبِّ الذي يعرفه يصبح هذا الأَبُ الكبير شيطانًا وملعونًا، وهنا غضب الأب الرَّبُّ الكبير وقال للخادم: «اخرج من جنَّتِي فإنك رجيم، وإن عليك لعنة إلهنا إلى يوم اللقاء الموعود»، وقيل إن صيحة الأب قد سُمعت في شتي أصقاع العالَم الناسوتي، وامتثل الخادم الدكتور لصياح الأب الكبير ولعناته فخرج وأسرته ومَن آمن به من جَنَّة الوطن الجديد التي سحرت لُبَّ الجميع،ونحن لا نستطيع أن نتفهم دوافع مَن خرجوا من الجنة إلا على شاكلة واحدة، فهذه الفئة نشأت ذليلة وطيِّعة في خدمة الأب الكبير، ولعل قناعتها بالنسبة إلى الجنة الجديدة ستكون حكرًا على الأب ورغبته كما كانوا هم دومًا قبل الجنة.

وفي نهاية الساعات المئة والثماني والستين رأوا كل من بالداخل يهلكون، وبقي الابن المخدوم مبتسمًا في بلاهة، وسمع الجميع نداء الأَبِ الرَّبِّ الكبير بصوته الذي كان يَخفُت مع الوقت: «يا بُنَيَّ اعْفُ عنِّي»، لكن الخادم رَدَّ في قوة: «آلآن وقد تجبَّرْت بالأمس وكنت من الكاذبين؟!».

بينما رحل الخادم وأسرته وأتباعه إلى أرض الرَّبِّ العادل حيث عاشوا عُمْرًا في كَنَفِه وتحت رعايته.

كانت البنت أَتَتْ حاملةً المفكرةَ والقلم، وقلت لها: «تعالي يا شاطرة أَحْكِ لك قصة، لكن ما سأحكيه هو في الواقع مزيج من البرمجة كائنية التوجيه والإسقاط التشكيلي وبقايا من حكايا الماركيز والنجيب». وكانت البنت مستوعبة تمامًا!

وبدأتُ أسترجع ذكرياتي عن الوطن والقرية وأبناء العَمِّ وأقاربي الذين هلكوا ولم نستطِع أن نمنحهم أعمارًا جديدة.

obeikandl.com

المحتوى

تصدير	٥
البيت القديم	٧
ثمرة جوافة فى طبق خزف عند رأس السرير	٩
هندسة وصفية	١١
مشهد من وطن لم يكتمل	١٩
إكتئاب : النص المفقود للأطياف	٢١
روماتيزم	٢٧
المؤنث	٢٩
لعبة الملك الأخيرة	٣٥
حدث الموت المزدوج للأب المنكود	٣٧
مجتمع المتوحدين المحدود السري	٤٣
قمر	٥١
ليلة دموية	٥٣

obeikandl.com

اللامنتهى ٦١
حيث لا يوجد إله ٦٩
كود Z٣٣ : اليوم الآخر ٧١
مقبرة ٧٩
محاولة رفع الحظر عن الله المتعدد ٨١
عاد..برمجة لاهوتية ٨٧

obeikandl.com